الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research





جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

University of Ghardaia
Faculty of Social and Humanity Sciences
History Departemnt

النهضة الأوروبية

مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس

السداسي: الرابع

ميدان التكوين: العلوم الاجتماعية والإنسانية

شعبة التكوين: التاريخ

التخصص: تاريخ عام

إعداد الأستاذ: محفوظ حني

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر صنف ب

الموسم الجامعي: 2025/ 2026م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research





جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

University of Ghardaia
Faculty of Social and Humanity Sciences
History Departemnt

النهضة الأوروبية

مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس

السداسي: الرابع

ميدان التكوين: العلوم الاجتماعية والإنسانية

شعبة التكوين: التاريخ

التخصص: تاريخ عام

إعداد الأستاذ: محفوظ حني

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر صنف ب

الموسم الجامعي: 2025/ 2026م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المطبوعة:

1/ أهمية المادة، ومكانتها في التخصص:

مادة "النهضة الأوروبية" من المواد الاستكشافية التي يدرسها طلبة السنة الثانية تاريخ عام في السداسي الرابع من طور الليسانس، والتي تُعنى بدراسة التاريخ الأوروبي من أواخر المرحلة الوسيطة إلى الإنتقال إلى المرحلة الحديثة خاصة، التي تركزت معظم أحداثها فيها، والتي تمكن الطالب من الربط بين الأحداث الكبرى التي شهدتها القارة الأوروبية، وارتباط ذلك بحركة النهضة والتي تمخضت عن عدة تحولات كبرى أتت فيما بعد شهدتها القارة، وأثرت بذلك على سير تاريخها وعلى باقي دول العالم.

2/ الهدف من تدريس المادة:

نهدف من خلال تدريس مادة "النهضة الأوروبية" إلى تمكين الطالب من معرفة التحقيب والتسلسل التاريخي في أوروبا، خاصة في العصر الوسيط، بدء بجذور "حركة النهضة" في إيطاليا ثم امتدادها إلى ممالك ومقاطعات القارة، وكذا معرفة التطورات والتحولات بأوروبا في الفترة الوسيطة، وذلك لدفع الطالب من خلالها إلى تكوين صورة عن النهضة الأوروبية بين التقديس والواقع ودلالة الاصلاح الديني، فضلا عن إدراك مدى ارتباط النهضة بحركة الكشوف الجغرافية وميلاد الاستعمار الأوروبي.

3/ محتواها عامة:

يتضمن تناول هذا المساق التاريخي دراسة التحولات العميقة التي شهدتها أوروبا بانتقالها من ركود العصور الوسطى إلى آفاق النهضة الحديثة؛ حيث ركزت العناوين على رصد الحالة العامة، وأبرز عوامل ومفاهيم الانبعاث الأوروبي، مستندة إلى روافد أساسية كالتراثين اليوناني والروماني، والدور المحوري لأثر الحضارة الإسلامية وجامعات ذلك العصر. كما سلطت الضوء على الحركات الفكرية والدينية والعسكرية، متمثلة في الكشوف الجغرافية والاستعمار، وحركة الإصلاح الديني بقيادة اللوثرية، فضلا عن الطفرة المشهودة في الآداب، والفنون، والمنهج العلمي. واختتمت المطبوعة بتحليل الصراعات السياسية والعسكرية الكبرى من خلال مراحل حرب الثلاثين عاما، مع قراءة نقدية في الفكر السياسي الواقعي عبر كتاب "الأمير" لنيقولو ميكيافيلي.

4/ نوعية المصادر والمراجع:

مراجع المادة من كتب وموسوعات؛ متنوعة حديثة تتعلق خاصة بتاريخ أوروبا، تجاوز السرد التقليدي، حيث لا تكتفي بذكر التواريخ والوقائع السياسية (مثل الحروب والمعاهدات)، بل تحلل لماذا وكيف تغير العقل الأوروبي. كما تمتاز بتقديم رؤية "مترابطة"؛ حيث توضح مثلا انعكاس الأدب على السياسة.

أما محاورها: ففي الجانب الفكري (الحركة الإنسانية Humanism) تشرح المراجع تحول التركيز من الفكر الغيبي الوسيط إلى "الإنسان" وقدراته وعقله، وكيف أعيد إحياء التراث اليوناني والروماني القديم.

في الجانب الأدبي فهي تسلط الضوء على تطور اللغات المحلية (كالإيطالية والفرنسية) بدلا من اللاتينية، وكيف عبر كتاب مثل "دانتي"... عن قضايا المجتمع الجديد بأسلوب نقدي ساخر أو ملحمي.

في الجانب الفني تركز على الثورة البصرية (مثل اكتشاف أبعاد المنظور الهندسي والتشريح) لدى فنانين مثل "دافنشي" و"مايكل أنجلو"، وكيف تحول الفن من مجرد أداة دينية جافة إلى تعبير عن الجمال البشري والطبيعي.

5/ الصعوبات المحتملة في اكتسابها:

اكتساب المراجع العلمية والوثائقية في مادة **"النهضة الأوروبية"** يشكل تحديا منهجيا ومعرفيا كبيرا للباحثين والطلبة في حقل التاريخ، نظرا لطبيعة هذه الفترة الانتقالية المعقدة وتداخل مساراتها الفكرية، والسياسية، والجهوية.

تعتبر اللغة العقبة الأولى في التعامل مع مراجع ذلك العصر؛ فالنهضة الأوروبية قامت أساسا على "إحياء التراث القديم"، والتحول من اللاتينية الكلاسيكية إلى اللغات القومية (الناشئة حينها). والترجمات المتوفرة إلى اللغة العربية لبعض المصادر الأساسية لا تزال محدودة النطاق. من جهة أخرى تغلب على معظم المؤلفات المتاحة باللغة العربية الصبغة العامة والتجميعية الموجهة للتدريس الجامعي العام، دون الخوض في تفاصيل التحقيق التاريخي ومقارنة الروايات، مما يضطر الباحث للعودة إليها والاعتماد عليها مع صعوبة الباحث في العثور على مراجع غربية منصفة تعترف بحجم التأثير المباشر لـ "**الحضارة الإسلامية**" عبر الأندلس، صقلية، والترجمات العلمية) أو دور الاحتكاك البحري والتجاري في حوض البحر الأبيض المتوسط في تهيئة الأرضية الفكرية والاقتصادية لعصر النهضة.

كما تكمن الصعوبات في تميز عصر النهضة بظهور "الإنسان الشمولي" الذي يجمع بين الفن، والسياسة، والعلم، والفلسفة (مثل دافنشي، وميكيافيلي...). هذا التداخل يجعل مراجع المادة متشعبة جدا؛ فالباحث لا يدرس تاريخا سياسيا محضا، بل يجد نفسه أمام مراجع في **تاريخ الفن، وتاريخ العلوم، وتاريخ الأفكار السياسية، والتاريخ الاقتصادي (الرأسمالية الناشئة)**.

الدرس التمهيدي:

السداسي: الرابع

اسم المادة: النهضة الأوروبية

اسم الوحدة: وحدة التعليم الاستكشافية

عدد الحصص السداسية: خمسة عشر أسبوع

الحجم الساعي الأسبوعي: ساعة ونصف

الحجم الساعي للسداسي: اثنين وعشرون ساعة ونصف

المستوى المستهدف بها: السنة الرابعة تاريخ عام

طريقة التقييم: امتحان 100%

معامل المادة: 01

رصيد المادة: 01

1/ الأهداف المرجوة من تدريس المادة:

تهدف هذه المادة إلى معرفة عوامل قيام النهضة الأوروبية ومظاهرها الدينية والأدبية والعلمية، وروافدها، والاطلاع على مخرجات الحركة الإنسانية في أوروبا. كما تهدف إلى منح الطالب ثقافة عامة منسجمة مع تخصصه، لتساعده على فهم الأحداث التاريخية والتفاعلات الفكرية.

2/ المعارف المطلوب اكتسابها مسبقا لمتابعة دروس المادة:

يشترط في الطالب لمتابعة هذا التكوين أن يكون على دراية بواقع أوربا في العصر الوسيط في جميع المجالات، إضافة إلى ضرورة تحكمه في لغة أجنبية واحدة على الأقل.

3/ المصادر والمراجع الأساسية للمادة:

1- الجمل شوقي عطا الله – إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل- القاهرة، 2000.

2- نوار عبد العزيز سليمان وجمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، الاسكندرية، 1999.

3- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1992.

4- رمضان عبد العظيم، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، 1998.
5- إبراهيم عيسى علي، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجغرافية، الإسكندرية، 2000.
6- الهاشمي إياد علي، تاريخ أوروبا الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2010.
7- ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، موسوعة المعرفة، مج 1، مج 14، مطبعة داغر، لبنان، 1971.
8- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

5/ محتوى المادة:

يمكن أن نلخص محتوى المادة في المحاور التالية:

الدرس الأول: الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة

الدرس الثاني: تعريف النهضة الأوربية وعوامل قيامها

الدرس الثالث: أوروبا في العصور الوسطى

الدرس الرابع: مفهوم النهضة الأوروبية: مظاهر الانبعاث الممهدة للنهضة الأوروبية في العصر الوسيط

الدرس الخامس: روافد النهضة الأوروبية- التراث اليوناني- التراث الروماني

الدرس السادس: روافد النهضة الاوروبية: رافد الحضارة الاسلامية

الدرس السابع: الجامعات في أوروبا في عصر النهضة

الدرس الثامن: آثار الحضارة الاسلامية في النهضة الأوروبية

الدرس التاسع: حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوروبي الحديث

الدرس العاشر: حركة الاصلاح الديني: الجذور التاريخية

الدرس الحادي عشر: حركة الاصلاح الديني: الحركة اللوثرية

الدرس الثاني عشر: الآداب والفنون في عصر النهضة الأوروبية

الدرس الثالث عشر: المنهج العلمي والاكتشافات العلمية في عصر النهضة الأوروبية

الدرس الرابع عشر: حروب الثلاثين عاما ومراحلها

الدرس الخامس عشر: نيقولو ميكيافيلي وكتاب الأمير

الدرس الأول: الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: إقتصاديا

ثانيا: دينيا

ثالثا: عسكريا

رابعا: سياسيا

ملخص:

هذا الدرس يتناول الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة من أربعة جوانب: الاقتصادي، الديني، العسكري، والسياسي. في الجانب الاقتصادي، شهد القرن الرابع عشر تدهوراً كبيراً في نظام الإقطاع بسبب جائحة الطاعون الأسود التي قضت على نسبة كبيرة من السكان، مما أدى إلى نقص العمالة وبداية نظام الأجور وارتفاعها. من الناحية الدينية، يُذكر بسلطة البابوية وانقسامها وتأثيرها، كما يتطرق الدرس للجانب العسكري ونمو الجيوش المأجورة للنبلاء، وأخيراً التطور السياسي مع نمو القوميات.

أهم المصادر والمراجع

أولا: إقتصاديا (تدهور عهد الإقطاع)

اتسم القرن الرابع عشر بظواهر الإرتباك، والإضطراب، والكآبة المقبضة. ففي منتصفه تماما؛ أي إلى عام 1348م حل الموت الأسود (The Black Death)، وهو أبشع كارثة في تاريخ البشرية، إذ قضى على ما يتراوح بين ثلث ونصف عدد السكان الكلي لأوروبا. وقد كانت هذه الكارثة التي لا مثيل لها ذات نتائج عديدة، فقد تسببت في انهيار المعايير الأخلاقية، وابتعثت إحساسا بالشك والقنوط قدر له أن يدوم أجيالا، لكن لعل الأهم من ذلك أنه أدى إلى حدوث عجز شديد في الأيدي العاملة، بما تسبب فيه من إهلاك تلك الأعداد الكبيرة من العاملين. وكانت النتيجة أن العمل والعمالة غدت لهما قيمة كبرى، وأصبح على ملاك الأراضي أن يعرضوا أجورا طيبة لاجتذاب العمال. ولم يلبث المفهوم المثالي لعهد الإقطاع[1] الذي كان يربط

[1] الإقطاع: نظام اجتماعي اقتصادي كان شائعا إبان القرون الوسطى، لاسيما في أوروبا. كان يقوم في الدول التي تعتمد اقتصاداتها على الزراعة، فالأرض في عهد الإقطاع ملك للملك، يوزعها اقطاعات على الأمراء مقابل إلتزامات يتكفلون بها. ويعيش هؤلاء السادة على عمل

العامل بالأرض، ويؤدي فيه أجر أرضه لا نقدا، ولكن خدمات عمل أن تدهور سريعا في التطبيق العملي (وإن لم يتضائل من الناحية النظرية) في خلال القرن الرابع عشر، وذلك بحلول الأجور النقدية محل مستحقات العمل. ولم يكن القرن الرابع عشر بداية نظام اقتصادي يقوم أساسه على النقود (فإن العملية المؤدية إلى مثل هذا الاقتصاد كانت تسير سيرا حثيثا حتى عام 1348م)، ولكنه كان مع ذلك علامة هامة من علامات الطريق في سياق تطوره[1].

ثانيا: دينيا (البابوية)

لقد شهد القرن الرابع عشر في الميادين الأخرى كذلك، تحولا في الأساليب من قديم إلى جديد، فإن البابوية (The Papacy) التي كانت محترمة إجمالا في القرن الثالث عشر، ما لبثت أن أخذت في التدهور السريع، وغدت بنهاية القرن بمثابة أضحوكة أوروبا. ففي عام 1309م انتقل البابا كليمنت الخامس (Clement V) من روما إلى أفنيون (Avignon) التي كان يسيطر عليها الفرنسيون. إن عمله هذا أدى إلى سلسلة طويلة من البابوات الفرنسيين، الذين أصبحوا خاضعين لمصالح فرنسا، وملئوا كلية الكرادلة (College of Cardinals) بالفرنسيين. وبطبيعة الحال، فإن منافسي فرنسا مثل أباطرة ألمانيا، وملوك إنجلترا، وحكام إيطاليا لم يكن ينتظر منهم قبول بابوية في جيب ملك فرنسا على هذه الصورة الواضحة، لتكون لسانا صادقا للمسيحية.

وهكذا فإن البابوية كمؤسسة دولية، فقدت سمعتها بصورة محزنة. وفي عام 1378م عاد البابا أدراجه إلى روما، بيد أن النتائج كانت أسوأ. فقد نصب الفرنسيون البابا كليمنت السابع في أفنيون بوصفه البابا المضاد (Anti-Pope)، بينما أيدت إيطاليا وإنجلترا البابا أوربان السادس (Urban VI). وقدر لهذا الإنقسام الكبير (Great Schism) الذي راح فيه البابوات المتنافسون يتقاذفون بالمثالب (العيوب والنقائص والمساوئ) وأوامر الحرمان الكنسية البابوية بعضهم ضد بعض، والذي قدر له أن يدوم حتى انعقاد مجلس كونستانس (The Council of Constance) عام 1414م.

ولم يكن مثيرا للدهشة أن حركات الإصلاح الديني المماثلة للحركات البروتستانتية في القرن السادس عشر نشطت وتعددت: ففي إنجلترا ظهر جون ويكليف (Jean Wycliffe) الذي لقبوه باسم "نجمة الصباح

الفلاحين الذين يرتبطون بالأرض ويعتبرون جزء منها، ويخضعون لإرادتهم. والمملكة الإقطاعية لا تعتبر دولة في الاصطلاح السياسي المعاصر، حيث أنها تفتقد إلى الوحدة التي تمكن الحاكم من فرض سياسته الداخلية والخارجية، نظرا للتنافس بين أمراء الإقطاع الذي كثيرا ما يتحول إلى صراع مسلح. أنظر: يحي محمد نبهان: **معجم مصطلحات التاريخ**، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2008، ص 32- 33.

[1] محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: **موسوعة المعرفة**، مج 11، مطبعة داغر، لبنان، 1971، ص 1882.

للإصلاح الديني" (Morning Star of the Reformation). وفي بوهيميا (التشيك حاليا) كان داعية الإصلاح الديني جون هوس (Jean Hus) الذي انتهى الأمر بشنقه كمنشق هرطيق بأمر من مجلس كونستانس[1].

ثالثا: عسكريا (انحلال نظام الإقطاع ونمو القوة العسكرية)

وكما أن الأسس الاقتصادية والدينية للعصور الوسطى المتقدمة قد تزعزعت، فكذلك تزعزع أساس المجتمع الإقطاعي. كان هذا النظام يقسم الناس إلى طوائف على أسس قوامها ملكية الأرض؛ فمنزلة الإنسان كان يحكمها اتساع الأرض التي يشغلها، وماهية الخدمات التي يؤديها من أجلها، وشخصية الحاكم الأعلى الذي نالها منه. وكثير من هذه الخدمات كانت واجبات مرتبطة بالزراعة. وكانت باهظة في وقت الحصاد. ولكن كانت هناك خدمات أخرى هي الإنخراط فترات قصيرة الأجل في الجيش الإقطاعي. وما لبث الملك والحكام الكبار في القرن الرابع عشر أن بدأوا يدفعون الأجور نقدا لمعظم الجنود في جيوشهم.

وعندما أصبحت الحرب أكثر تعقيدا فإن الخدمة العسكرية القصيرة الأمد غدت غير مرضية. وهكذا تطور الأمر إلى استخدام جنود محترفين لآجال طويلة. وعلى هذا المنوال أخذ النبلاء يستخدمون أتباعا مسلحين، ممن لا تكون لهم أرض بتاتا، وممن تغدو علاقتهم بسادتهم الحاكمين على أساس قاعدة صاحب العمل والأجير. ويعرف هذا النظام الذي استبدل فيه الولاء الإقطاعي القائم على أساس الأرض بالولاء الشخصي لسيد حاكم أو قائد في الميدان باسم الإقطاع الكاذب (Bastard Féudalism). وكان من نتائج الإقطاع الكاذب نمو القوة العسكرية للنبلاء، فرادى، فقد أخذوا يحتفظون لأنفسهم بجيوش معدة دائمة. وقد تزايدت قوة النبلاء في إنجلترا إلى حد أنهم استطاعوا الإطاحة مرتين عام 1327 و1399م بالملك إدوارد الثاني والملك ريتشارد الثاني. ومع ذلك فإن الملك إدوارد الثالث استطاع أن يحسن الإفادة من رعاياه الأقوياء هؤلاء، بأن أقر بتأييدهم ومؤازرتهم له في حرب المائة عام[2].

رابعا: سياسيا (نمو القوميات)

ليس مما يثير الدهشة، أن القرن الرابع عشر بما اقترن به من تدهور شأن البابوية، ونمو نظام الجيوش المحترفة المأجورة، قد شهد تطورا بالغا فيما يتعلق بالملكيات القومية (National Monarchies)، فقد استطاعت إنجلترا أولا، ثم فرنسا فيما بعد، أن تقيم وحدة قومية بارزة الشأن في خلال المائة عام التي نشبت عام 1337م.

---

[1] فؤاد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، مج 11، ص 1882.

[2] نفسه.

وفي ختام القرن الرابع عشر كانت هاتان الأمتان أقوى الأمم في أوروبا إلى حد بعيد، ولم يتهيأ للأمم الأخرى أن تقيم وحدة مشابهة. فإيطاليا كانت مقسمة إلى دويلات صغيرة متعددة، كان أهمها البندقية (Venice)، تليها ميلانو (Milan) وفلورنسا (Florence)، ونابولي (Naples)، وجنوة (Genoa). أما مملكة قشتالة أو الكاستيل (Castile) وأراجون (Aragon) الإسبانيتان، فكان لهما الإنتظار قرابة مائة عام حتى تتم وحدتهما، في حين أن ألمانيا كانت مجرد تسمية جغرافية؛ إذ لم تكن لها قومية، وكان التاج الألماني ينعم به عادة من قبل الأمراء السبعة (The Seven Electors) المؤهلين لاختيار الإمبراطور الألماني، وهم حكام إمارات: ساكسونيا (Saxony)، والبلاتينات (The Palatinate)، وبوهيميا (Bohemia)، وكولونيا (Cologne)، وبراندنبرغ (Brandenburg)، ومينز (Mainz)، وتريير (Trier). وكان الإنعام لهذا التاج يتم للمزايد الأكبر، سواء صلح أو لم يصلح لحكم ألمانيا[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- فؤاد ابراهيم محمد وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 11، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

2- نبهان يحي محمد: معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2008.

[1] فؤاد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، مج 11، ص 1882.

الدرس الثاني: تعريف النهضة الأوروبية وعوامل قيامها

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: تعريف عصر النهضة

ثانيا: عوامل قيامها

1- مظاهر عصر النهضة

ملخص:

الدرس الثاني يتكلم عن عصر النهضة الأوروبية وعوامل قيامها، مع التركيز على بداياتها في إيطاليا وانتشارها لاحقًا في دول أوروبا الأخرى مثل فرنسا وإنجلترا. يتحدث عن تعريف عصر النهضة، وعن أهم الأسباب التي جعلت إيطاليا مركزًا لهذا الحركة الحضارية، مثل الحرية السياسية الجزئية والنشاط الاقتصادي، بالإضافة إلى اعتزاز الإيطاليين بأصولهم الرومانية القديمة. كذلك يسلط الضوء على ملامح النهضة، وخاصة تمجيد الإنسان وإنجازاته وتركيزا على دقة تصويره مع أمثلة لفنانين كبار مثل ليوناردو دافنشي ورافائيل.

أهم المصادر والمراجع

أولا: تعريف عصر النهضة

لو تخيلت أنك انتقلت إلى أي زمن في الفترة ما بين القرنين الرابع والرابع عشر، فستشعر أنك غير متوافق بالمرة مع ما حولك، فإن أفكار الناس ودوافعهم لما يقومون به من أعمال ستبدو غريبة لك حقا. ولكنك إذا انتقلت إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فسرعان ما كنت تجد أنك متآلف تماما مع كل ما يحيط بك. ذاك أنه في هذين القرنين، افسح بهما عالم القرون الوسطى مكانه للعالم الحديث، وبزغت الأفكار الحالية عن الفن والأدب والسياسة. ولقد سمي هذا العصر "عصر النهضة" (The Renaissance)، لأنه كان في الواقع ميلادا جديدا لأفكار قدماء الإغريق وروما. وبلغت أوروبا ثانية في عصر النهضة، المستوى الحضاري للأزمنة الكلاسيكية[1].

[1] محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: **موسوعة المعرفة**، مج 14، مطبعة داغر، لبنان، 1971، ص 2433.

أما عن تاريخ ظهور كلمة نهضة (Renaissance)- في معناها الإصطلاحي التاريخي بالنسبة لتاريخ أوروبا- فهي حديثة التعبير، حيث ظهرت في حدود عام 1830م. وما زال معناها الحقيقي موضع جدل ونقاش ومعرفة واستقصاء[1].

وجدير بالذكر، أنه بين كل عصرين تاريخيين عظيمين تأتي فترة انتقال تحدث فيها التغييرات العظيمة التي تميز بين نوعين في النهاية، ولكنها في العادة تظهر وتنمو وتتطور تدريجيا شأنها في ذلك شأن الكائن الحي، حتى تنضج ويتم نموها. وفترة الإنتقال من العصور الوسطى إلى الحديثة قد أطلقت عليها عدة أسماء، فسميت أحيانا باسم: The decline of Medieval Europe وأحيانا The Beginning of The Renaissance Modern. وكلمة Renaissance كما تدل عليها الكلمة الأجنبية معناها تجدد الإيمان (Rebirth)؛ أي عودة الحياة أو البعث أو الولادة الجديدة. ويتضح من هذا أن تعريف النهضة الأوروبية ليس بالأمر السهل، فإنها ليست حادثا معينا، وإنما هي حركة شاملة ظهرت، واتجاه جديد في تفكير الناس، وأعمالهم ومعيشتهم، جعلتهم يتحررون تدريجيا من قيود ما ألفوه في العصور الوسطى. ولقد وقعت كل هذه التغييرات التي نقلت العالم الأوروبي من العصور الوسيطة إلى الحديثة فيما بين القرنين العاشر والخامس عشر. ولقد كانت هناك عوامل مساعدة شجعت على حدوث هذا التغيير أهمها: إنحلال الإمبراطورية والبابوية، ونهضة الشعوب وتمتعها بقسط من القوة السياسية، ثم نشأة الممالك الحديثة نتيجة لظهور الأمم وقيام الحكومات الملكية.

وكلمة Renaissance لها مدلولان، مدلول واسع والآخر ضيق، والمدلول الأخير استعمله الإيطاليون خاصة، وقد عنى هذا اللفظ بالنسبة لهم بعث الآداب والفنون والعلوم الكلاسيكية اليونانية والرومانية والإهتمام بدراستها من جديد. ذلك أن الإيطاليين قد شعروا بأن هذه العلوم كذلك قد انعدمت على إثر وقوع غزوات الجرمان والقبائل الأخرى في القرن الثالث والرابع والخامس، وأنه بعد مضي عدة قرون على اثر اندثار هذه العلوم الكلاسيكية بعثت من جديد على يد الكثيرين الذين اهتموا بدراستها. وظهرت النهضة بهذا الشكل في إيطاليا وانتشرت منها إلى غيرها من الدول الأوروبية إلى أن أصبحت معلمة للعالم في إحياء الدراسات القديمة، وساعد ذلك بالتالي على تغيير العقلية الأوروبية كلها، مما أدى إلى تطورات أخرى في الكشف الجغرافي، والإصلاح الديني، وازدياد المعرفة الإنسانية. على أن نظرة الإيطاليين إلى النهضة بهذه الصورة نظرة

[1] عبد الفتاح أبو علية- إسماعيل أحمد ياغي: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1413هـ/ 1993م، ص 16.

قاصرة بلا شك؛ فالنهضة كانت أعظم من هذا، وقد شملت تغييرات خطيرة في شتى مرافق الحياة، حيث غيرت من معالم المجتمع الأوروبي.

والكلمة بمدلولها الأوسع تشمل كل التغييرات التي طرأت على المجتمع الأوروبي من النواحي المختلفة من نظم الحكم والحالة الاجتماعية والعلوم والفنون والفلسفة والدين والأدب، فهيأت حضارة العصور الوسطى لتصير بالتدريج حضارة العصور الحديثة. فعصر النهضة إذن هو عصر ظهور الفرد، وانتعاش الآداب القديمة وعصر الفن، والبناء، وعصر المخاطر والكشوف الجغرافية، وعصر بداية العلم الجديد، وعصر النقد، والتهكم على الأوضاع القائمة، وكذلك عصر ظهور الكنائس المحلية المستقلة عن سلطة البابا كما حدث في إنجلترا أو ألمانيا وغيرها من البلاد. وعصر ظهور المخترعات الحديثة مثل البوصلة أو الإسطرلاب (Astorlabe) [1].

ثانيا: عوامل قيامها

بدأ عصر النهضة بإيطاليا في أواخر القرن الرابع عشر، وبلغ ذروته هناك قبل غزو شارل الثامن من فرنسا في عام 1494م. وبعد ذلك بدأت النهضة في الإنتشار شمالا عبر جبال الألب، وما أن حدث نهر روما في 1527م، حتى كانت فرنسا، وإسبانيا، وإنجلترا، قد حلت محل إيطاليا كمراكز للنهضة.

ولكن، لماذا كانت إيطاليا بالذات أكثر تقبلا لأفكار النهضة؟

أولا: لم تكن لإيطاليا سلطة دنيوية مركزية، وكانت آنذاك مجموعة من "دول المدينة" (city-states)، وكانت هذه الدول يحارب بعضها بعضا في بعض الأحيان، ولكن الحروب كانت في مجموعها حروب محدودة. وفي نهاية القرن الخامس عشر، ذروة عصر النهضة، أقام لورنزو دي مديتشي[2] في فلورنسا توازنا للسلطان بين الدول التي هيأت جوا أعظم حرية بكثير، مما كان يمكن لأي تحكم مركزي وثيق أن يحققه. وكان الفنانون والعلماء يتنقلون بحرية بين بلاط الأمراء والنبلاء.

ثانيا: كانت إيطاليا أكثر تقدما في الناحية الاقتصادية من باقي أوروبا. ولقد هيأت أنشطتها التجارية المنتعشة، الجو المثير للنمو والتوسع قبل أن يتمكن الإبداع الفكري والفني من الإزدهار الحقيقي.

ثالثا: كان الإيطاليون يتباهون بأنهم سلالة الرومان القدماء، وبانتمائهم لكثير مما تعنيه النهضة. وكان من الطبيعي، أن يتمثل أعم بعث للثقافة الكلاسيكية في إيطاليا[3].

---

[1] عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1992، ص 320.

[2] أنظر ملحق الصور رقم (1): لورنزو دي مديتشي (1449- 1492)م.

[3] فؤاد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، مج 14، ص ص 2433- 2434.

1- مظاهر عصر النهضة:

كانت القوة الحاكمة الحقيقية خلف النهضة، تتمثل في تمجيد الإنسان والإنسانية. وعلى سبيل المثال، فإن ما يميز رسامي عصر النهضة؛ ومنهم ليوناردو دافينشي، ورفائيل، وبوتيشيللي عن سابقيهم من رسامي العصور الوسطى، كان الدقة المطلقة التي كانوا يصورون بها الجسم الإنساني كشيء جميل ومتقن في ذاته. ولم تكن النهضة تحترم مظهر الإنسان فحسب، بل كانت تحترم أيضا إنجازاته، التي بدأت في بلوغ معنى جديد، بصرف النظر عما إذا كانت تؤمن أو لا تؤمن بالله. وبالرغم من أن كثيرا من رجال النهضة، مثل مايكل أنجلو كانوا يعتقدون أن أعمال الإنسان العظيمة إنما هي تمجيد لله تعالى، فإن هذا التركيز على الإنجازات البشرية، كان يجنح إلى السمو بمكانة الإنسان في حد ذاته، وإلى إعطاء عصر النهضة طابعا دنيويا.

وعلى ذلك، فإن عصر النهضة كان يعني تمجيد الإنسان وأعماله، بما في ذلك الفن، والعلم، والأدب، والعمارة، والنحت، والسياسة. وفي كل هذه المجالات، كانت النهضة زمنا لتقدم بالغ السرعة، ظن معه طلاب المستقبل، أن بعض الأشياء المعينة بدأت خلال ذلك العصر، في حين أن ما حدث، كان في الواقع تعجيلا عجيبا لاتجاهات كانت تتطور منذ عدة قرون.

ومن إحدى تأثيرات الفكرة النامية القائلة بأن البشر هم الذين يوجهون مقاديرهم، بدلا من كونهم مجرد أدوات تعسة في يد القدر، أن الأمراء أصبحوا أكثر اهتماما بقوتهم ومجدهم الشخصي، ومن ثم فإن أمراء عصر النهضة النموذجيين، من أمثال: هنري الثامن في إنجلترا[1]، وفرنسيس الأول في فرنسا، ولورنزو الأفخم في فلورنسا، استهدفوا توسيع وتمجيد مؤسسة إنسانية للغاية، هي الدولة، حتى ولو كانت تعني تضاربا مع مكانة الكنيسة[2].

ولأن عصر النهضة كان يتمثل الكمالية في الإنسان، أخذ الناس يشعرون بأن المسيحية جعلت الإنسان في هذا العالم، يبدو غير ذات مغزى، بجانب الأمل الموعود في العالم الآخر. لذلك كان من الطبيعي أن رنا فنانو وعلماء عصر النهضة بأنظارهم إلى عصر قبل المسيحية، عندما كان الإنسان محترما "بمعنى الكلمة"؛ أي إلى العالم القديم في اليونان وروما.

ومع ظهور الأمراء الأقوياء والمستقلين، بدأ القضاء على السلطات التي كانت حتى ذلك الحين تعوق حريتهم. وكانت السلطتان اللتان تعرضتا لأكبر محنة، هما البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة. وما إن حل

---

[1] أنظر ملحق الصور رقم (2): هنري الثامن ملك إنجلترا (1509- 1547)م.

[2] فؤاد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، مج 14، ص 2433.

منتصف القرن السادس عشر، حتى كان البابا مجردا من أي سلطة سياسية في الدول البروتستانتية، وأصبح لملوك فرنسا وإسبانيا الكاثوليك، قدر من الحرية في حكومة كنائسهم، يضارع ما لملك إنجلترا في حكومة كنيسته. وأصبحت الإمبراطورية الرومانية المقدسة، التي كانت مسيطرة في يوم ما، مجرد اسم في نظر مئات الولايات المستقلة.

قصارى القول، أن الوعي الجديد بامتياز الإنجازات الإنسانية، أدى إلى ثورة لا في الفن فحسب، بل وفي محيط أوسع. فقد كان هذا الوعي الجديد، مدعاة إلى طرح الأفكار المتعلقة بالله والإنسان، والتي كانت مقبولة طوال العصور الوسطى[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- عبد الفتاح أبو علية- إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1413هـ/ 1993م.

2- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1992.

3- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 14، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

[1] فؤاد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، مج 14، ص 2433.

الدرس الثالث: أوروبا في العصور الوسطى

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم

أولا: بداية العصور الوسطى في أوروبا

ثانيا: سلطة الكنيسة في العصور الوسطى

1- وصف الكنيسة للجنة والنار

ثالثا: مجتمع العصور الوسطى

رابعا: حرب المائة عام

خامسا: الفن والحياة في العصور الوسطى

ملخص:

يتناول الدرس عن أوروبا في العصور الوسطى خاصة سلطة الكنيسة، المجتمع، حرب المائة عام، والفن والحياة في تلك الحقبة.

- الكنيسة على رأس السلطات في أوروبا، وثرائها من الإتاوات والضرائب التي فرضتها.
- وصف الكنيسة للجنة والنار وعقيدة الحساب والجزاء في الآخرة.
- تأثير الكنيسة على الحياة الاجتماعية والسياسية.
- أحداث مهمة مثل حرب المائة عام ونتائجها.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

من الصعب أن نحدد بالدقة الحقبة التاريخية التي تعرف باسم العصور الوسطى. لقد حدث الإنتقال من العصور القديمة إلى العصور الوسطى في خضم الغزوات الكبرى للقبائل الجرمانية، وانتهت في حوالي عام 1400[1] قبل انتهاء حرب المائة عام.

[1] **موسوعة الشباب**، مج 4، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972، ص 479.

أولا: بداية العصور الوسطى في أوروبا

بداية، إن التاريخ عبارة عن حلقة متصلة لا يمكن الفصل فيها، وإنما تم تجزئة التاريخ إلى فترات زمنية محددة حيث نقول التاريخ القديم، والتاريخ الوسيط، والتاريخ الحديث، والتاريخ الحديث والمعاصر، والمقصود من هذا التقسيم التسهيل على الباحث والقارئ.

وقد اختلف الدارسون حول تحديد بداية العصور الوسطى ونهايتها، فبعضهم يرى أن بداية العصور الوسطى في سنة 476م وهو تاريخ سقوط "روما" بأيدي "البرابرة الجرمان"، والبعض يعتبر سنة 330م وهو تاريخ بناء مدينة "القسطنطينية" هو بداية لهذه الحقبة، ويرى آخرون أن سنة 395م بداية العصور الوسطى، حيث انقسمت في هذا التاريخ الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي وغربي. وهناك آراء تحدد بداية العصور الوسطى مع انتشار "المسيحية"، والبعض الآخر يعتبر فترة "الغارات البربرية" وتشكل "الممالك الجرمانية" هو بداية العصور الوسطى.

أما أول من أطلق اصطلاح العصور الوسطى أو العصر الوسيط فهم "الأدباء الإنسانيون" الإيطاليون في القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين. ولقد نظر الإنسانيون إلى الثقافة الكلاسيكية على أنها ثقافة جيدة جدا وأعجبوا بها، بينما نظروا إلى الفترة الزمنية المحددة بسقوط روما وسقوط القسطنطينية على أنها فترة جهل وظلام مرت بها أوروبا.

وفي الحقيقة، تم اعتبار القرنين الرابع والخامس الميلاديين بداية العصور الوسطى لأسباب عدة منها **السياسية؛** فقد كان في العالم قبل القرنين المذكورين إمبراطوريات كبرى منها المصرية والآشورية والرومانية والمقدونية والفارسية. كما أن الإمبراطورية الرومانية غدت في أوج قوتها واتساعها وأصبح يحكمها الدستور وظهر فيها التعدد في عبادة الآلهة. واعتبارا من القرنين الرابع والخامس ظهرت ممالك متعددة مثل: "القوط الغربيون" في إسبانيا، و"القوط الشرقيون" في إيطاليا، و"الفرنجة" في فرنسا، و"الوندال" في شمال إفريقيا.

كما ظهرت بعض الإمبراطوريات في تلك الفترة مثل "إمبراطورية شارلمان" القوية سياسيا، لكنها ضعيفة من الناحية الاقتصادية، كما أنها كانت مرتبطة بشخصية إمبراطورها، لذلك فعندما مات الأخير ضعفت ثم سقطت[1].

أما من **الناحيتين الاقتصادية والإجتماعية،** فقد كان ينتشر في الإمبراطورية الرومانية "نظام العبودية"، أما فيما بعد فقد تناقص عددهم في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وأصبحت "طبقة الكولون" هي الطبقة

[1] أشرف صالح محمد سيد: **تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى**، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان، ط 1، 2008، ص 11.

المنتجة الرئيسية، وتدريجيا رسخت أسس النظام الإقطاعي، فأصبحت طبقة "الأقنان" هي الطبقة الرئيسية المنتجة، الأمر الذي أدى بالتالي إلى انتشار وسيادة النظام والعلاقات الإقتطاعية بدلا من النظام والعلاقات العبودية.

ومن **الناحية الفكرية**، فإذا كانت العصور القديمة تميزت بسيطرة الوثنية وعبادة الآلهة المتعددة، ففي القرنين الرابع والخامس ظهرت وانتشرت الديانة المسيحية القائمة على عبادة إله واحد بدلا من الآلهة المتعددة، كما اعترف "قسطنطين الأول الأكبر" بالمسيحية ديانة رسمية للدولة[1]. وهو ما أدى إلى بروز الكنيسة وسيطرتها على الحياة في العصور الوسطى.

ثانيا: سلطة الكنيسة في العصور الوسطى

أصبحت الكنيسة أقوى سلطة في أوروبا، وذلك لأنها نشأت قبل سقوط الإمبراطورية الرومانية بوقت طويل، ولأنها استطاعت أن تقاوم التيارات الجرمانية. وقد تأكدت هذه السلطة عندما تمكن بابا روما من إخضاع ملوك الجرمان وفرض رغباته عليهم. وكان البابا وحده هو الذي يستطيع مباركة الملوك الذين كانوا يركعون أمامه.

وكانت الكنيسة قد فرضت على كثير من بلدان أوروبا سفرائها- في صورة أساقفة أو رؤساء أديرة- الذين كثيرا ما كانوا يتدخلون في الشؤون السياسية لتلك البلدان. وكانت تتلقى الأعشار؛ وهي عبارة عن عشر الدخل الخاص لكل مواطن، الأمر الذي كان، بلا شك يصل بتلك الإتاوات إلى مبالغ ضخمة. وقد أدت هذه الأموال المكتنزة في خزائن روما إلى إثراء البابوية بشكل لا يكاد يصدق، وجعلت منها أعظم قوة اقتصادية في العالم. ولذلك فإن العوامل التي ساعدت على نمو سلطة الكنيسة لم تكن مقصورة على الإحترام الذي كانت تلقاه في الشؤون الدينية[2].

1- وصف الكنيسة للجنة والنار:

كانت الكنيسة تحتل مكانة مرموقة في حياة كل فرد في العصور الوسطى، وكان ظاهرا أنه ما من شيء يمكن أن يتم من دون موافقتها، فمن يقدم على احتقار الكنيسة يلقى عذاب النار. وطبقا للإعتقادات المسيحية، فإنه في يوم الحساب يجري وزن روح كل إنسان، ثم تحاسب. فإذا كان الإنسان قد سلك سلوكا مرضيا، حق له دخول الجنة في سعادة ونعيم، وحيث تقوم الملائكة بأداء ألحان موسيقية قدسية، وحيث يعيش

[1] سيد، تاريخ وحضارة أوروبا...، المرجع السابق، ص 12.

[2] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص ص 446- 447.

الإنسان حياة ثانية في نعيم كامل. وبالعكس، إذا كان الإنسان قد ارتكب أخطاء، فإنه يلقى به في النار. والنار هي مملكة الشيطان، وهي أتون ملتهب يتعذب فيه الآثمون بلهيبه، ويتعرضون للدغ جحافل من النحل والزنابير، وهم محبوسون في مكعبات من الجليد، بينما يقوم الشيطان وقد تسلح بحربة ذات ثلاث شعب، يساعده جمع من أعوانه بمطاردة هؤلاء الآثمين لتعذيبهم ونخسهم بحربته.

كان الشيطان يتراءى للناس في كل مكان، حتى في عالم الأحياء. وكانت المجاعات والأوبئة الفتاكة والفيضانات من مظاهر "قدرة الشيطان". وكان السحرة يبيعون أرواحهم للشيطان. وهؤلاء السحرة كانوا يلقون الرعب في القلوب لدرجة أنهم كانوا يحرقون أحياء إذا ثبت اشتغالهم بالسحر.

كان الرعب من عذاب النار في العصور الوسطى قد أدى إلى مطاردة السحرة مطاردة جدية، وراجت حولهم أبشع الأساطير. كما كان الإعتقاد السائد هو أن البومة والثعبان والذئب والفأر كلها حيوانات شيطانية، وأنها مبعوثة من الشيطان على الأرض، تلقي بسحرها على المؤمنين، فيصابون بكل أنواع اللعنات. وكانت حركة الإضطهاد المستمر للسحرة قد أدت كثيرا من الخدمات لرجال السياسة، إذ كان يكفيهم أن يتهموا خصومهم بمزاولة السحر لكي يتخلصوا منهم[1].

ثالثا: مجتمع العصور الوسطى

كان مجتمع العصور الوسطى يعيش تحت السيطرة المزدوجة لكل من النبلاء والكنيسة، في ظل الرعب الدائم من الشيطان، وقسوة الضرائب. غير أن الحياة الدنيوية لم تكن تعنى لدى المؤمنين سوى أنها تجربة، يجب عليهم أن يخوضوها باستسلام، لكي يحظوا فيما بعد بدخول الجنة. وقد كانت حرب المائة عام هي بلا شك الحادث الذي أثر أكثر من غيره في تاريخ تلك الحقبة الطويلة من التاريخ، فقد عانى منها أربعة أجيال. ولكن الأحوال تغيرت بعد انتهاء فترة العصور الوسطى؛ فالأمراء بدأوا يفقدون سلطانهم بالتدريج، وأتيحت الفرصة للشعب الضعيف ليحصل على معارف جديدة بفضل انتشار الكتاب. وقام بعض المغامرين برحلات في سبيل الكشف عن آفاق جديدة، والتحقق من صحة نظريات العلماء، رغم أنف الكنيسة التي كانت لا تزال تحتفظ بكامل سطوتها، وإن لم يدم ذلك طويلا[2].

[1] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص ص 466، 468.

[2] نفسه، ص 479.

رابعا: حرب المائة عام

الواقع أن حرب المائة عام دامت مائة وستة عشر عاما؛ إذ أنها بدأت في عام 1337م وانتهت في عام 1453م. ولكن إن أردنا الحقيقة فإن تلك الحرب المستمرة لم تكن لتخلو من فترات تتوقف فيها خلال المائة عام، فكثيرا ما كان الملوك يوقفون القتال لفترات طويلة بين المعارك، منتهزين تلك الفرص لإعادة بناء جيوشهم.

كان ملك فرنسا وملك إنجلترا هما المحركان لهذه المعارك الطويلة المتتابعة، كان كل منهما يمتلك أراضي شاسعة، وكان بلداهما قد حققا تقدما بدرجة غير عادية. وكان النبلاء الإنجليز وكذلك الفرنسيون يملكون سلطات فائقة في داخلية البلدين. ولكن شاء القدر السيئ أن تكون لملك إنجلترا مقاطعة في أرض القارة، وبالتحديد في الأراضي الفرنسية. وعلى ذلك كان ملك إنجلترا يعد خاضعا بشكل ما لملك فرنسا. علاوة على ذلك، فإن فرنسا بعد وفاة ابن فليب الوسيم، لم تجد أحدا يخلفه على العرش. وهنا ثارت القلاقل الداخلية في كل بلد، وقامت المنافسة الشديدة بين قوتين، وكان ذلك هو العامل الأساسي في نشوب الحرب. وقد اندفع ملوك فرنسا وإنجلترا إلى القتال في تباطئ غير عادي وإصرار مثير للسخرية، معركة بعد أخرى، طيلة ما يزيد على مائة عام. وجاء وقت سيطرت فيه إنجلترا على كل منطقة "بوردو" شمالي فرنسا، من بريست إلى دونريمي، ومن أوليانز إلى كاليه. ولكن الحال تغيرت في عام 1453م؛ إذ فقدت إنجلترا كل ممتلكاتها في الأراضي الفرنسية. وقد خرج كل من الطرفين من القتال فقيرا منهوك القوى بعد حرب طويلة قاسية[1].

خامسا: الفن والحياة في العصور الوسطى

إن الثراء الذي تميزت به الحياة في العصور الوسطى يستأهل دراسة طويلة. فإن ذلك العصر كان بداية التفتح بالنسبة للعلوم الجادة، وكان عصر الأبحاث التي تقوم على المنطق، وهو بصفة خاصة عصر إعادة النظر في المفاهيم التي فرضتها الكنيسة. ومن المؤكد أن الطبقات الاجتماعية الأكثر تميزا كانت تدرك مزايا التقدم. أما الفقراء فقد تركوا غارقين في بؤسهم وجهالتهم. وكانت الحكومة تضطهدهم بإثقال كاهلهم بالضرائب، والكنيسة تتوعدهم بعذاب النار، وسادة القوم يجبرونهم على العمل من أجلهم بدون مقابل. لذلك فإن التقدم العلمي، والطبي، والإجتماعي، كان مقصورا على فئة ضئيلة من مجموع الشعب. حقيقة أن الطبقة المتوسطة (البرجوازية) بدأت تتكون، الأمر الذي ساعد بعض الحرفيين على الثراء والإتحاد، وبذلك كونوا مجموعة قوية كان لها احترامها. أما فنانو العصر، فكانوا أحيانا يجدون العون من الأمراء، الذين كانوا يتفاخرون بالإكثار من عددهم في بلاطهم.

[1] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص ص 474- 475.

وهكذا تمكن فيون (Villon) ذلك الشاعر العظيم من شعراء العصور الوسطى، من أن يجد ملاذا لدى الملك لويس الحادي عشر، الذي شمله برعايته فترة طويلة. وكان بلاط الأمراء والملوك يضم "الفرسان"، الذين كانت مهمتهم الإعداد للحرب، وكان القليل من الأمراء من يلاقي حتفه في المعارك الدامية؛ إذ أنه في معظم الأحوال كان الفرسان يجندون لها أفرادا من الفقراء، ليكونوا منهم الجزء الأكبر من قواتهم[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- أشرف صالح محمد سيد: تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان، ط 1، 2008.

2- موسوعة الشباب، مج 4، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص ص 472- 473.

الدرس الرابع: مفهوم النهضة الأوروبية– مظاهر الانبعاث الممهدة للنهضة الأوروبية في العصر الوسيط

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: بدايات النهضة في إيطاليا

ثانيا: مظاهر انبعاث النهضة الأوروبية

1- في شبه جزيرة إيطاليا

2- خارج إيطاليا

ملخص:

الدرس الرابع يتناول مفهوم النهضة الأوروبية ومظاهر انبعاثها في العصر الوسيط، مع التركيز على بدايات النهضة في إيطاليا ودورها في تحديد مجالات الأدب والفلسفة والفنون والعلوم والسياسة.

- النهضة كانت انعكاسًا لتغيرات اجتماعية واقتصادية، خاصة بظهور الطبقة البرجوازية.
- المدن الإيطالية مثل ميلان وفلورنسا كانت مهد النهضة بحكم أسر حاكمة قوية.
- النهضة بدأت في القسم الشمالي من إيطاليا حيث كانت المدن أكثر تحررًا ونموًا مقارنة بالقسم الجنوبي المحافظ.

أهم المصادر والمراجع

أولا: بدايات النهضة في إيطاليا

كلمة النهضة هي الترجمة العربية لكلمة (Renaissance) مثلما مر علينا في الدرس الثاني؛ أي البعث أو الإحياء. وهي تطلق على التجديد والنهوض والخلق والإبتكار الذي حدث في أوروبا في مجالات الأدب والفلسفة والدين والعمارة والتصوير والنحت والعلم والسياسة والقانون. ومن هذا يتضح أن مجال النهضة البناء الفوقي للمجتمع الأوروبي. ولما كان البناء الفوقي هو انعكاس للبناء التحتي المكون من العلاقات الإنتاجية، ولما كانت العلاقات الإنتاجية الإقطاعية قد أخذت تتغير في ذلك الحين إلى علاقات برجوازية بظهور الطبقة البرجوازية في أحشاء المجتمع الإيطالي منذ القرن الحادي عشر، فإن النهضة التي تشمل التجديد والنهوض في

جميع المجالات الإنسانية التي ذكرناها تكون بالضرورة انعكاسا للعلاقات الإنتاجية الجديدة، وبروز الطبقة الاجتماعية الجديدة؛ وهي البرجوازية.

وهذا أمر طبيعي، ويمكن تبيينه إذا عرفنا أن هذه النهضة لم تقم قبل ظهور الطبقة البرجوازية في العصور الوسطى، ولم يكن من الممكن في الحقيقة، في ظل نظام الإقطاع والكنيسة المطلق، أن تقوم، لأن النظام الإقطاعي لم يكن ليفرز أو ليعكس تغييرا يتناقض مع أسسه وقواعده[1].

ولعل أهم دليل على هذه الحقيقة، هو بدء النهضة في إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوروبية. فلقد كانت المدن البرجوازية في إيطاليا أقوى من مثيلاتها في الأقطار الأوروبية الأخرى، وكان تحرر المدن الإيطالية من سيطرة الإقطاع قبل غيرها من المدن الأخرى، وأصبحت عبارة عن دويلات صغيرة.

وقد حكم هذه المدن حكام مطلقون؛ ففي ميلان كانت تحكم أسرة فسكونتي (Visconti)، وفي فلورنسا كانت السيطرة لأسرة مديتشي (Medicci) وهكذا.

ودليل آخر هو أن النهضة وإن بدأت في إيطاليا، إلا أنها بدأت في القسم الشمالي منها، وهو الذي يشمل سهل لمبارديا والبلاد المطلة من البحر، كجنوة والبندقية ومقاطعة تسكانيا، وبمعنى آخر القيم الذي أصبح منطقة كبرى للمدن. أما القسم الجنوبي منها، بما في ذلك روما والأراضي المجاورة لها، وفيها مملكة نابولي، والذي لم يتأثر كثيرا بحركة ظهور المدن، وظل يسوده نظام الإقطاع، فقد ظل أقل تطورا من القسم الشمالي؛ إذ بقي محافظا زراعيا، في حين كان القسم الشمالي حضريا متطورا. ولذلك لا نعجب وصف فرديناند سكيفيل (Schivill) في كتابه عن "المجتمع في عصر النهضة الإيطالية" بأنه عصر المدن المتحررة.

وقد أدى ظهور الطبقة البرجوازية إلى ازدياد الاهتمام بالقراءة والكتابة وانتشارها، نظرا لحاجة البرجوازيين إليها في الأعمال الحسابية والمالية والمعاملات وغيرها، وانتشارا للتعليم العلماني (المدني) إلى جانب التعليم الديني. وقد أوجد ذلك الحاجة إلى اختراع وسيلة يسهل بها انتشار التعليم، والحاجة أم الإختراع، فاخترعت آلة الطباعة أولا في ألمانيا عام 1454م، ثم انتشرت في المدن. وكان أول كتاب طبع بالحروف المصفوفة هو الكتاب المقدس باللغة اللاتينية في مطبعة يوحنا جوتنبرج (Gutenberg) (1367- 1468)م من مدينة ماينز (Mainz) على الراين بألمانيا، ثم انتشرت الطباعى خلال السنوات التالية من مدن الراين إلى بقية أوروبا، فدخلت إيطاليا عام 1465م، وباريس عام 1470م، وستوكهولم عام 1473م، وفالنسيا بإسبانيا عام 1474، ولندن عام 1477م ومدريد 1499م.

---

[1] عبد العظيم رمضان: **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص ص 49- 50.

وقد كان من نتائج اختراع الطباعة انتشار الكتب وانخفاض ثمنها وازدياد الإقبال على العلم والمعرفة. ولم تعد الثقافة والمعرفة مقتصرة على رجال الكنيسة، بل أصبحت في متناول العامة من الناس[1].

وحري بنا أن نبين كذلك لماذا ظهرت النهضة الأوروبية في مدن شبه الجزيرة الإيطالية قبل غيرها من مدن أوروبا، وهو ما سنراه في العنصر الموالي.

ثانيا: مظاهر انبعاث النهضة الأوروبية

1- في شبه جزيرة إيطاليا:

1-1 موقعها الجغرافي:

فشبه جزيرة إيطاليا لها موقع ممتاز في وسط البحر، وهو البحر الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات وأعرقها، وكانت المدن الإيطالية بفضل هذا الموقع حلقة إتصال بين أوروبا والحوض الشرقي للبحر المتوسط، بالإضافة إلى أنها كانت طول العصور الوسطى مركزا للنشاط الاقتصادي، وحلقة من أهم حلقات الإتصال التجاري بين الشرق وأوروبا.

1-2 الرخاء الاقتصادي:

إن دور المدن الإيطالية في التجارة بين الشرق وأوروبا معروف، وقد أثرت هذه المدن في النشاط التجاري، والرخاء الاقتصادي مرتبط عادة بالنهضة ويفتح لها الطريق[2]. والواقع أن المدن البرجوازية الإيطالية الشمالية قد تمتعت برخاء اقتصادي بفضل سيطرتها على أسواق التجارة، وخصوصا البندقية وجنوة اللتين كانتا تقومان بنقل توابل الشرق، وحريره، وجواهره، إلى الموانئ والمدن الإيطالية، ومنها عبر ممرات الألب إلى الأسواق الأوروبية الأخرى. وقد أدى هذا النشاط التجاري إلى نمو الطبقة البرجوازية فيها نموا كبيرا وتمتعا بالثراء والغنى. وكان أغلب هؤلاء التجار أهل فن وذوق، فعنوا بالثقافة وشجعوا رجال العلم والفن[3].

1-3 ماضي الإيطاليين وتاريخهم الحضاري السابق:

إن إيطاليا مهد الحضارة الرومانية، وما تزخر به روما وغيرها من المدن الإيطالية يذكرنا بهذا التراث القديم، مما يحفز الهمم لاستعادة هذا المجد التالد، ونذكر في هذا المجال أثر الفنون الرومانية القديمة من نحت وتصوير ونقش وعمارة في قيام الحضارة الحديثة.

---

[1] رمضان، المرجع السابق، ص ص 51- 52.

[2] شوقي عطا الله الجمل- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل- القاهرة، 2000، ص ص 8- 9.

[3] رمضان، المرجع السابق، ص 51.

1-4 تمتع إيطاليا بالسلام:

تمتعت شبه الجزيرة الإيطالية بالسلم أحقابا طويلة، والنهضات العلمية تزهو عادة متى توفر لها السلام والهدوء والرخاء.

1-5 قيام دويلات سياسية متنافسة في إيطاليا:

لقد اشتد التنافس على تشجيع العلوم والآداب والفنون بين الأسر الحاكمة في إيطاليا، ويذكر في هذا المجال جهود أسرة مديتشي في فلورنسا التي أنشأت أكاديمية علمية مشهورة.

1-6 مقر الزعامة الدينية في أوروبا:

أضفى وجود البابوية في روما على إيطاليا مركزا ممتازا فصارت قبلة العالم المسيحي، رغم إنغماس كثيرين من رجال الدين في الملذات، حين أنفق كثير من البابوات الكثير من الأموال التي تدفقت على الكنيسة في النهوض بالعلم وإنشاء المكتبات، فكانت مكتبة الفاتيكان من أشهر المكتبات التي غصت بالكتب العلمية.

1-7 طبيعة الشعب الإيطالي نفسه:

اشتهر الإيطاليون بميلهم للفنون وحبهم للموسيقى والرقص والأغاني والتصوير والنحت والعمارة والشعر والأدب عامة، فحين وجدت هذه الطاقات الجو المناسب ظهرت هذه المواهب، وهكذا ساعدت هذه الظروف على أن تبرز معالم النهضة في شبه جزيرة إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوروبية[1].

1-8 تأسيس المكتبات:

حدث تنافس بين المدن المختلفة في إنشاء المكتبات واقتناء نفس الكتب وأغلى المحفوظات والصور. فقد شيد كوزمو دي مديتشي (Cosmo de Medicci) مكتبة في مدينة البندقية خلال الفترة التي كان منفيا بها، ودعم مكتبة سان كو في فلورنسا وجمع لها المحفوظات، واهتم البابا نقولا بمكتبة الفاتيكان، واقتنى لها الكتب القديمة النادرة حتى أصبحت المكتبة ضم في عهده قرابة 12 ألف مجلد.

1-9 المجامع العلمية:

ظهور ونمو ما يعرف باسم المجامع العلمية أو الأكاديميات التي أسهمت في نشر الدراسات الإغريقية واللاتينية؛ إذ كانت بمثابة حلقات ثابتة للبحث والتدريس يلتقي فيها الأساتذة، ويلقون المحاضرات تعقبها المناقشات العلمية الموضوعية العميقة، يشترك فيها الأستاذ وطلابه الدراسون، وقد حوت هذه المجامع العلمية

[1] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 9- 10.

ألوانا مختلفة من الدراسات القديمة مثل الفلسفة الإغريقية والموسيقى والرسم، وكانت الأكاديمية أشبه ما تكون بجامعة غير رسمية[1].

ثانيا: خارج إيطاليا

نهل عدد من طلاب العلم من مناهل العلم في إيطاليا، وتشربوا روح الحضارة فيها، فلما انتقلوا إلى بلادهم كانوا الشعلة التي أوقدت نار الثورة على القديم. نذكر من هؤلاء إرازموس (Erusmes) وهو هولندي المولد (1467- 1562)م ولد في مدينة روتردام، لكنه أقام فترة في فرنسا وإنجلترا وألمانيا، ووضع عدة مؤلفات باللاتينية، وقد تأثر بالدراسات القديمة اليونانية واللاتينية التي احتضنتها إيطاليا، لكنه اختلف عن كثيرين من الإيطاليين في أنه كان مسيحيا يرى أن المجتمع الأوروبي لا يصلح إلا بالعودة إلى المسيحية الأولى ببساطتها وتعاليمها، وكان يرى أن ما أصاب المجتمع الأوروبي من انهيار يرجع إلى ما أصاب الكنيسة ورجال الدين من تدهور. وكان يرى في التعليم أشرف مهنة، حين استخدم موهبته في السخرية من انحرافات رجال الدين، وسار فترة مع (لوثر) لكنهما اختلفا وافترقا لأن لوثر خرج على روما وسيطرتها، أما إرازموس فكان يؤمن بإمكانية إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل، فهو يمثل المصلح المسيحي الهادي[2].

أهم المصادر والمراجع:

1- شوقي عطا الله الجمل- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل- القاهرة، 2000.

2- عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

3- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1992.

[1] عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 14- 15.

[2] نفسه، ص ص 9- 10.

الدرس الخامس: روافد النهضة الأوروبية– التراث اليوناني والتراث الروماني

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: التراث اليوناني

ثانيا: التراث الروماني

1- الإنجيل ينفض عنه الغبار

2- لحن الجمال لحركة "الهيومانيزم"

ملخص:

هذا الدرس يتكلم عن روافد النهضة الأوروبية، وبالتحديد عن التراث اليوناني والروماني وكيف أثّروا على تطور المعرفة في أوروبا.

- النظريات الفكرية والعلمية اليونانية القديمة، مثل أفكار أرسطو، كانت محفوظة دون نقد لفترة طويلة.
- ظهرت محاولات العلماء مثل جاليلو في تحقيق وتجربة وإثبات صحة تلك النظريات.
- الإيطاليون، خصوصًا في عصر النهضة، سعوا لإحياء أمجاد روما القديمة عبر الثقافة والمعرفة.
- ظهرت حركة الهيومانيزم أو "حركة الإنسان" التي اهتمت بأحياء الآداب القديمة ودراسة الإنسان ومصيره، وهي مستمدة من التراث الكلاسيكي.

أهم المصادر والمراجع

أولا: التراث اليوناني

استمد علماء عصر النهضة الجزء الأكبر من معارفهم من نظريات قدماء المفكرين اليونان، الذين كانوا يهتمون بالفلسفة، والكشف عن أسرار الحياة. ولذلك كانت النظريات التي وضعوها أقرب ما تكون إلى النظريات الفلسفية، منها إلى النظريات العلمية. وبعد مرور عدة قرون على وضع تلك النظريات، اقتبسها الأوروبيون حرفيا، دون أن يحاولوا التحقق من صحتها. ومن بين الأمثلة العديدة على ذلك، نذكر كيف أن أرسطو (Aristotle) أعلن ذات مرة أن طائر الورقاء يقضي الشتاء في الجليد، حيث يستطيع الحياة طيلة الفصل البارد. والواقع أن أرسطو الفيلسوف قد لاحظ أن هذا الطائر يختفي في فصل الشتاء، ويعود للظهور في فصل الربيع. وقد تجددت هذه النظرية في أوروبا في عصر النهضة. وكان الجميع يظنون فعلا أن طائر الورقاء

يقضي الشتاء حبيسا وسط الجليد. وظل هذا الإعتقاد سائدا إلى أن قام أحد العلماء الشبان بإجراء تجربة في معمله بأن أمسك بأحد هذه الطيور، ووضعه في إناء به ماء، وعرضه للتجمد، وكانت النتيجة موت الطائر. وفي أوائل القرن السابع عشر قام "جاليلو" بتجاربه على نفس المنوال تقريبا؛ إذ لم يكن يريد أن يتقبل أية نظرية دون التدليل على صحتها أولا. وهنا نجد أن الفلسفة قد أفسحت الطريق للرياضيات، التي لا تسمح بأية تصورات شاعرية[1].

ثانيا: التراث الروماني

اتجه الاهتمام في المدن الإيطالية بادئ الأمر إلى التراث الروماني، ولذا عرفت المرحلة الأولى من عصر النهضة بالطور اللاتيني لإحياء التراث القديم[2].

لو تتبعنا مراحل تطور الإنسان حتى عام 1600م، فيحتاج الأمر منا إلى رجعة قصيرة للوراء، إلى روما في عام 1450م.

كانت إيطاليا حتى ذلك الوقت تجاهد في سبيل إزالة آثار الغزوات العديدة، والمنازعات الدينية التي تعرضت لها. وقد ظل عدد كبير من الولايات في أيد أجنبية قوية، وكانت بعض المعارك لا تزال تدور فيها. كان الإيطاليون، وهم أبناء روما العظيمة التي كانت تعد عاصمة العالم يشعرون بشيء من المهانة. ولكن هذا الشعور المثبط سرعان ما زال ليحل محله نشاط عظيم، فلقد عقد الإيطاليون العزم على إعادة أمجاد الماضي، لا عن طريق قوة السلاح ولكن باستغلال مواهب الذكاء والثقافة. وقد سميت هذه الحركة الجديدة بـ "الهيومانيزم" (humanism)؛ أي إحياء الآداب القديمة، ودراسة حالة الإنسان الراهنة ومصيره.

لم يكن قرار العلماء والمفكرين المعنيين بدراسة الآداب القديمة أن يخلقوا أشكالا جديدة في الفكر والثقافة، ولكن خطتهم كانت ترمي إلى الإغتراف من التراث الغزير، الذي خلفه أسلافهم من فلاسفة اليونان والرومان. كانوا يكنون إعجابا عظيما لكل ما هو قديم. وكما هي العادة، فإن الإعجاب يولد الرغبة في المحاكاة. ولم تقتصر هذه المحاكاة على الآداب، بل تعدتها، وعلى نطاق واسع إلى طريقة التفكير، ووسائل المعيشة.

وبينما نجد أن الإنسان في العصور الوسطى ظل منطويا على نفسه، فإن الإنسان الجديد عام 1400م أخذ يبدي اهتماما بكل شيء. وقد اتخذ العلماء في الآداب القديمة نماذجهم من بين عظماء روما القديمة أمثال كنكيناتوس، وسكبيو، وقيصر... وحاولوا أن يجاروهم في السمات المميزة لعاداتهم. وكان من رأي

---

[1] **موسوعة الشباب**، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت– لبنان، 1972، ص 580.

[2] رمضان، المرجع السابق، ص 57.

العلماء المهتمين بدراسة مصير الإنسان، أن المجد يتيح للإنسان حياة أخرى بعد الموت، كما تتيحها الديانة، إن لم يكن بدرجة أكبر. وقد كان هذا الإعتداد بالمجد من السمات التي ميزت هذه الحقبة من الزمن بأكملها، وهي الحقيقة التي جاءت بعد العصور الوسطى ذات الطابع البسيط الإنطوائي[1].

1- الإنجيل ينفض عنه الغبار:

ظلت المفاهيم الدينية في العصور الوسطى محاطة بالغموض. كانت الكنيسة تعمل على تصوير الله بالجبار المرعب أكثر مما تصوره بالغفار الرحيم. ومن جهة أخرى، فإنك لو كنت قد دخلت إحدى الكنائس الرومانية للاحظت مدى قتامة الألوان، وجمود الأعمدة. إن الجو فيها كله قاتم وغامض، ويكاد يكون كئيبا. هكذا كانت العقيدة في العصور الوسطى. أما إنسان القرن الرابع عشر فلم يعد يتمسك بتلك الإعتقادات القاتمة. كان معتنق مذهب "الهيومانزم" متعطشا للمجد وللبهجة. ولذلك فإن مفاهيم هذا المذهب بصفة عامة كانت أقل تدينا.

ولكن من الخطأ أن نعمم هذا الحكم. فقد حاول أحد الرهبان من روتردام يدعى "إرازموس"[2] أن يطبق الفلسفة الإنسانية على المفاهيم الدينية. والواقع أنه قام بدراسة المؤلفين التقليديين، وحلل أفكارهم، وحاول أن يحاكيهم. كان المؤلفون الذين يفضلهم هم قرجيل، وشيشرون، وسنيكا. هذا إلى جانب "العهد الجديد" الذي كان يعتبره كتابا فلسفيا نفيسا. وبدراسة إرازموس للإنجيل وللمؤلفين القدامى لم يعثر على شيء من صفات الجبروت والرعب التي كانت الكنيسة تعلمها، بل وجد العكس. ولذلك فقد اعتبر مبشرا بمسيحية يتسامى فيها الحب والصفاء انبعاثا من تعاليم المسيح.

كرس معتنقو "الهيومانزم" قدرا كبيرا من نشاطهم لدراسة الإنسان، بتفكيره وانفعالاته. كانوا يعتقدون أنه كما أمكن اكتشاف قارة كانت مجهولة، وهي القارة الأمريكية فإنه بدراسة سلوك الإنسان يمكن التوصل إلى كشف الكثير مما كان مجهولا عنه.

ومما لا شك فيه أن جميع الناس يشتركون في بعض الصفات. وقد أكب الكاتب الفرنسي العظيم مونتيني (Montaigne) على محاولة الكشف عن أسرار الحياة الباطنية (النفسية) لكل فرد. وبما يتصف به العلماء من صبر وتدقيق، قام مونتيني بدراسة ظاهرتي الذكاء والسلوك. وحاول أن يتوصل إلى إدراك ردود الفعل الخاصة

---

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 516.

[2] أنظر ملحق الصور رقم (3): إرازموس (1469- 1536)م.

بجسمه وبعقله. وقد ظلت هذه الدراسات قيمة لجدتها؛ إذ أن عالمنا النفساني لا يزال غامضا، بل ونعجز أحيانا عن فهمه[1].

2- لحن الجمال لحركة "الهيومانيزم":

لم يكن معتنقو "الهيومانيزم" مجرد فلاسفة، يحاولون بجد وصرامة اكتساب العلوم والفلسفة لانطلاقة جديدة. بل كانوا يتميزون بطبيعة مرحة، يحبون الحياة، كما يحبون الطعام الجيد. وهم وإن كانوا مهتمين بتفهم سلوك الإنسان، إلا أنهم عملوا على إضفاء بعض السعادة على حياتهم. ولوحة "الربيع" لبوتشيللي (Botticelli)، تعد من أشهر اللوحات في العالم، وهي تمثل بهجة الحياة تمثيلا صادقا. إن النهضة هي لحن البهجة والمرح. وبتحرر الإنسان من بؤس العصور الوسطى أصبح يشعر بلذة الحياة. ويستطيع الإنسان المفكر أن يلمس أحد منابع هذا الشعور الفياض في قصائد هوراس. إن معتنقي "الهيومانيزم" لا يفتئون يكررون دائما تلك العبارة التي قالها المؤلف اللاتيني: "اغنم من اليوم الحاضر، ولا تفكر في غد، بل اجعل تفكيرك في اللحظة التي تعيشها". وهذه الفلسفة، والحق يقال، لا تخلو من الحكمة، فالشباب جميل، والحياة قصيرة، فيجب أن نستغلها[2].

أهم المصادر والمراجع:

1- عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

2- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص ص 516- 518.

[2] نفسه، ص 520.

الدرس السادس: روافد النهضة الاوروبية: رافد الحضارة الإسلامية

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم

أولا: حفظ ونقل المسلمين لتراث الحضارات السابقة

ثانيا: فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية

ملخص:

الدرس يتحدث عن دور الحضارة الإسلامية في نقل وحفظ تراث الحضارات السابقة، وكيف أثرت بشكل واضح على النهضة الأوروبية في عدة مجالات علمية وثقافية، مثل تطوير نظام الترقيم، علم الفلك، الطب، والكيمياء، بالإضافة إلى فتح آفاق جديدة في العلوم الرياضية والطبيعية.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

قامت الثقافة الإسلامية بدورها الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، وقد نقل العلماء المسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلمي الذي تقدم عليهم في التاريخ، نقلوه إلى اللغة العربية، التي كانت لغة علم وثقافة. ولقد أثر العلماء المسلمون في النهضة الأوروبية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالبا وواضحا ومؤثرا في عديد المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل نيوتن بقرون متطاولة، وكذا قياس سرعة الضوء، وتقدير زوايا الإنعكاس والإنكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

أولا: حفظ ونقل المسلمين لتراث الحضارات السابقة

ويمكن القول إجمالا، أن الثقافة العربية الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوروبية؛ فالفكر العربي الإسلامي، والثقافة الإسلامية، سلسلة متصلة الحلقات امتدت من الحضارات القديمة، من مصرية، وآشورية، وبابلية، وصينية إلى حضارة الإغريق والإسكندرية، إلى العصر الإسلامي الذي

تأثر علماءه بمن تقدمهم، وأثروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوروبية الذين قرئوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة من اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية[1].

ومن هذا المنطلق، حافظت الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليونانية من الضياع، إذ لولا المثقفون والعلماء العرب، لما وصلت إلى أيدي الناس مؤلفات يونانية كثيرة مفقودة في أصلها اليوناني ومحفوظة بالعربية. ولقد ظل الغرب يشتغل على الثقافة العربية حتى بعد أن تقلص ظلها في الأندلس بجيلين أو أكثر حتى وصل إلى العصور الحديثة. وظلت هذه الثقافة تستهوي الكثيرين من أبناء العالم الغربي، إذ لم تتوقف الترجمة عن العربية في عصر النهضة وما بعد عصر النهضة، رغم الإتصال المباشر بالعالم اليوناني والحضارة اليونانية اعتبارا من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، عندما بدأت الكتب اليونانية تنقل رأسا من اللاتينية من دون الإستعانة بالترجمات العربية. فالثقافة العربية الإسلامية لها قيمتها وشخصيتها، فقد أنتجت الكثير مما لم تستطع الثقافة اليونانية إنتاجه في الحقول كافة: إضافات وتعليقات وابتكارات واكتشافات عربية لم يعرفها اليونان.

إن حركة النقل من الثقافة العربية الإسلامية التي خرجت بها أوروبا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة، لم تقتصر على "نقل" المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصرية، من كتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فحسب. إن أوروبا المسيحية قد "نقلت" أيضا معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطا من الحضارة الإسلامية ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة وحياتها الخاصة. ولو أن الكنيسة الكاثوليكية لم تضع ثقلها إلى جانب الفرنجة في معركة تور سنة 114هـ (732م)، لعممت الحضارة الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية في أوروبا منذ ذلك الزمن الباكر، ولوفرت الكنيسة الكاثوليكية على العالم نزاعا طويلا وشقاء مريرا.

فمنذ القرن الخامس عشر أخذت الحضارة الإسلامية تزحف نحو أوروبا، وكانت هناك ثلاث طرق رئيسية عبرت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا هي:

1- صقلية
2- شبه جزيرة إيبريا (الأندلس)
3- بلاد الشرق الأدنى

[1] أشرف صالح محمد سيد: **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ط 1، 1430هـ/ 2009م، ص 22.

ولم تبدأ النهضة الأوروبية في كل أوروبا في وقت واحد، لكن بدايتها كانت في جنوب القارة. وفي شبه جزيرة إيطاليا بالذات، وكان هذه البداية بمثابة الإعداد للإنقلاب الذي عم أوروبا فيما بعد[1].

ثانيا: فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية

انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في العالم الغربي، ونهل علماء أوروبا من المصادر العربية الأصلية، ووجدوا أنها تراث علمي عظيم، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. ولقد كان المسلمون يمثلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة، كانوا روادا في المناهج العلمية الحديثة، وقد اكتسب المثقفون والعلماء في أوروبا من الثقافة العربية الإسلامية أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبي والاستقرائي، بحيث وجد الأوروبيون في التراث وفي الثقافة العربية الإسلامية ضالتهم المنشودة، فعكفوا على نشره[2].

إن الانبهار بحجم تأثير الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، وفي الثقافة والعلوم الأوروبيين، جعل مفكرة ألمانية تصدع بهذه الحقيقة بقولها: "إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوروبا عدة قرون، تجعلنا نعجب أشد العجب؛ إذ هي لم تكن امتدادا حضاريا لبقايا غابرة، أو لهياكل حضارية محلية على قدر الأهمية، أو أخذا لنمط حضاري موجود، أو تقليدا ينسج على منواله المعهود، كما نعرف في الأقطار الأخرى مهد الحضارات في الشرق. إن العرب بثقافتهم هم الذين أبدعوا هذه الروعة الحضارية إبداعا".

وبينما كانت أوروبا ترتع في غياهب العصور الوسطى؛ كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها، لقد أسهم الإسلام كثيرا في تقدم العلم والطب والفلسفة. وقال ديورانت في كتابه "عصر الإيمان" (The Age of Faith): "إن المسلمين قد ساهموا مساهمة فعالة في كل المجالات، وكان ابن سينا من أكبر العلماء في الطب، والرازي أعظم الأطباء، والبيروني أعظم الجغرافيين، وابن الهيثم أكبر علماء البصريات، وابن جبير أشهر الكيميائيين"، وكان المسلمون روادا في التربية والتعليم.

وأضاف ديورانت في هذا الشأن أيضا: "عندما تقدم روجر بيكو (Reger Bacon) بنظريته في أوروبا بعد 500 عام من ابن جبير، قال إنه مدين بعلمه إلى المغاربة في إسبانيا الذين أخذوا علمهم من المسلمين في الشرق. وعندما ظهر النوابغ والعلماء في عصر النهضة الأوروبية، فإن نبوغهم وتقدمهم كانا راجعين إلى أنهم وقفوا على أكتاف العمالقة من العالم الإسلامي"[3].

---

[1] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 7- 8.

[2] سيد، أصول التاريخ الأوروبي...، المرجع السابق، ص 23.

[3] نفسه، ص ص 24- 25.

أهم المصادر والمراجع:

1- أشرف صالح محمد سيد: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ط 1، 1430هـ/ 2009.

2- شوقي عطا الله الجمل –عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل –القاهرة، 2000.

الدرس السابع: الجامعات في أوروبا في عصر النهضة

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: في العصور الوسطى

ثانيا: في عصر النهضة

ملخص:

يتناول هذا الدرس الجامعات في أوروبا خلال العصور الوسطى وعصر النهضة، مركزًا على كيف كانت الكنيسة تسيطر على الثقافة والتعليم في العصور الوسطى، وتنظم المعرفة وفق المبادئ الدينية. ولكن في الوقت نفسه، برز بعض العلماء الذين تحدوا هذه السيطرة وسعوا للتحرر الفكري، وتأسيس الجامعات، ثم شهرتها في عصر النهضة.

أهم المصادر والمراجع

أولا: في العصور الوسطى

إننا نميل لاعتبار العصور الوسطى حقبة مظلمة من التاريخ، كان الناس خلالها راضين بأدنى درجات الفقر، والجهالة المطلقة. ولقد تبين على العكس أن هذه العصور شاهدة على مولد مجموعة من العلماء والباحثين، الذين حاولوا الكشف عن أسرار الحياة، وأنشأوا ثقافة مميزة لعصرهم.

ومن المؤكد أن الكنيسة كانت لفترة طويلة المنبع الوحيد للثقافة في العصور الوسطى. كان الشباب من الرهبان فقط، هم الذين يتلقون العلم، وكان يفرض عليهم القيام بالأبحاث، وكان في استطاعتهم الإستعانة في ذلك بمكتبات الأديرة الزاخرة بالكتب والمراجع. وفي الوقت نفسه، كانت الكنيسة تخضع النظريات العلمية والفلسفية للمبادئ الدينية. وقد لاحظ ذلك بعض الدارسين اللامعين، فقرروا أن يتحرروا من إشراف الكنيسة، لكي يتابعوا أبحاثهم بموضوعية كاملة. وأشهر هؤلاء الدارسين، بل وألمعهم دون منازع، هو "أبيلار" (Abelar) الذي أصبح بفضل اتجاهه التحرري أستاذا مبجلا يتسابق الطلاب من أجل الاستماع إلى دروسه[1].

ناهيك عن ذلك، كانت الكنيسة هي المهيمنة على الشؤون السياسية والإقتصادية، وعلى العموم وهي بهذه الصفة، كانت ترغب في أن تحتفظ لنفسها بحق الهيمنة في جميع المجالات. لذلك فإن تأسيس الجامعات

[1] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص 465.

كان ضربة قاسية لهذه القدرة الكلية للكنيسة، لا سيما أن مدرسي العلوم المختلفة من غير القساوسة، تركوا الأديرة لكي ينطلقوا قدما بأبحاثهم، ويتحرروا من السيطرة الدينية. وهنا شعرت الكنيسة بالخوف من هؤلاء العلماء، الذين أخذوا يتابعون دراسات من شأنها زعزعة اعتقادات أفراد الشعب. وفي نفس الوقت تبصير المؤمنين، وجعلهم يفقدون الثقة بالقوانين الدينية. ولذلك عمدت الكنيسة إلى مطاردة الكيميائيين، والفلاسفة والأطباء، واتهمتهم بالتحالف مع الشيطان. وهكذا وجهت الكنيسة ضربة خطيرة للأبحاث العلمية.

إزاء المطاردات المستمرة التي كان يقوم بها أولئك الذين يعملون لحساب الكنيسة، اضطر بعض العلماء الذين لا ينضوون تحت لوائها إلى الإختباء لكي يستطيعوا استئناف أبحاثهم، التي لم يكونوا يستطيعون القيام بها إلا ليلا وعلى ضوء الشموع. وكان الناس يتشككون في أمرهم، بل ويهابونهم. كانت بوتقة (وعاء) علماء الكيمياء قد أصبحت في نظر السذج من أفراد الشعب، أداة من أدوات الشيطان، يستخدمها العلماء لتجهيز الجرعات السحرية ذات الآثار الشريرة.

وقد وصل الحد بالكنيسة إلى أن منعت الأطباء من تشريح الجثث الآدمية، وبالتالي من تحقيق الملاحظات الهامة اللازمة لإطراد أبحاثهم. ولكن الرغبة الشديدة في المعرفة، دفعت الجراحين إلى مخالفة أوامر الكنيسة، وبذلك كانوا يخاطرون بحياتهم، فكانوا يتسللون أثناء الليل إلى المقابر، ويستخرجون الجثث من مدافنها لكي يتمكنوا من دراستها. وفي هذه الحالة كان الجراح الذي يخاطر بنفسه ويقوم بهذه المجازفة يعرض نفسه للحرق.

وتماشيا مع تم ذكره، كان الكيميائيون الأوائل قد نأوا بجانبهم عن المعتقدات الدينية، آملين أن يتوصلوا بأبحاثهم إلى الحقيقة العلمية. أما الأبحاث التي كان يقوم بها العلماء في طي الكتمان الشديد، فقد أثارت غضب الكنيسة، فعمدت إلى اضطهادهم عن طريق اتهامهم بالسحر. وكان تخلص الكنيسة من الكيميائيين بمثابة الفرملة التي أوقفت مسيرة البحث العلمي. ذلك أن هؤلاء الكيميائيين وهم في سبيلهم للبحث عن الحقيقة، عثروا على العديد من المعادلات الهامة، التي ألقت الضوء على قوانين الكيمياء والطبيعة[1].

وقد قام بعض الطلاب إثر تحررهم من سلطان الكنيسة بإنشاء مدارس خاصة بهم، وأقاموا جامعات في بعض المدن. كانت تلك الجامعات تشبه "النقابات الحرفية" الأخرى التي هي بمثابة اتحادات طلابية حقيقية. وكانت جميع العلوم تدرس فيها، ولم تكن الدراسة بها مقصورة كما كان شأن الكنيسة على: الدين، وقواعد

[1] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص ص 468، 470- 471.

اللغة، والمنطق، والحساب، والموسيقى، والهندسة، والفلك. وقد استقرت بعض الجامعات في عدد من المدن الكبيرة، وكانت سببا في ذيوع شهرتها[1].

ثانيا: في عصر النهضة

حين بدأت النهضة الأوروبية، وترجمت كثير من كتب المسلمين، أخذت الجامعات الأوروبية بالمنهج العلمي التجريبي، ولعل الفضل في تبني هذا المنهج ونشره يرجع إلى "السير فرنسيس بيكون" الذي ظهر في إنجلترا في القرن السادس عشر، وألف كتابه الشهير "الإدارة الجديدة" الذي شرح فيه الطريقة الجديدة للدراسة والتفكير، وهي الطريقة المبنية على المشاهدة وجمع البيانات وتبويبها وترتيبها وعمل التجارب، ودراسة نتائجها بغية الوصول إلى الحقائق على أساس المنهج العلمي أو التجريبي.

وأدى شيوع هذه الطريقة إلى سهولة تناول العلماء الكثير من أسرار الطبيعة بالبحث والدراسة، فتوصلوا إلى حل الكثير منها، فأدى ذلك إلى تغيير واضح وتقدم في مختلف العلوم.

وقد كانت المعامل والجامعات هي أماكن البحث والتجريب، وأصبحت المصانع تتلقف النظريات العلمية المتعلقة بالصناعات وتضعها في حيز التطبيق، واتبعت إنجلترا بالذات هذا الأسلوب، وكانت الجامعات الإنجليزية ومعاملها هي المنبع الأصلي للتجارب العلمية، بينما في ألمانيا كانت المعامل ملحقة بالمصانع أو بالأحرى كانت المصانع ذاتها هي ميدان التجريب.

وشمل التطور العلمي والفكري مختلف النواحي في المجتمعات الأوروبية، وأصبحت العشوائية أمرا غير مرغوب فيها، وشجع التقدم الذي أحرزه الإنسان على المزيد منه. كما أدى التقدم في المواصلات، وفي وسائل الإتصال إلى تبادل المعرفة وانتشارها[2].

وتفسيرا لذلك، تمكنت الأبحاث العلمية التي كانت حتى القرن السادس عشر تجري في طي الكتمان داخل المعامل الخاصة بالكيميائيين القدماء أو كانت تقتصر على الطلبات الخاصة بالأمراء والملوك، من طرح رداء السرية لكي تصبح في متناول الجميع. فمن جهة، كانت الجامعات قد زادت شعبيتها، وأصبح في إمكان أي فرد، من حيث المبدأ أن يستفيد من الأبحاث الحديثة التي يجريها العلماء. ومن جهة أخرى، كان الباحثون في مجال العلوم ينشرون نتائج أعمالهم بانتظام. وهكذا أصبح في استطاعة كل إنسان عن طريق الكتب أن يقف

---

[1] موسوعة الشباب، مج 4، المرجع السابق، ص 465.

[2] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 19- 20.

على أحدث الدراسات. وقد اتسع نطاق التأليف العلمي اتساعا هائلا اعتبارا من القرن السابع عشر. ومنذ ذلك الوقت أخذ العلماء ينشرون أسرار أبحاثهم لخدمة العلم والإنسان[1].

ويمكن القول بأن القرنين السادس عشر والسابع عشر قد مهدا الطريق تمهيدا رائعا أمام أكثر القرون تألقا في التاريخ، ألا وهو القرن الثامن عشر. فمنذ ذلك الوقت أصبحت جميع العلوم تعتمد على الملاحظات الدقيقة، ويتم التدليل على صحتها بالتجارب التي تجرى بمنتهى الدقة. وفي نفس الوقت طبق مبدأ البحث المنظم على الفلسفة، مما أفضى إلى إصابة "الدين" بضربة قاصمة. والواقع أن المبادئ المسيحية لم يكن في الإمكان التدليل عليها عن طريق العلم، ولذا فقد "نقدها" فلاسفة العصر. كان انتشار العلوم في القرن الثامن عشر نذير شؤم للدين، وبالتالي الملكية؛ إذ كان الملك يعتبر نفسه مبعوث الرب[2].

وما نراه اليوم في مجال التقدم في أبحاث الفضاء، ومحاولات التغلب على الأمراض واكتشاف طرق التطعيم المختلفة والوصول إلى الفيروسات التي تسبب الأمراض وتغيير أجهزة الإنسان التالفة، ما هو إلا نتيجة لما حققه العلم من تطور وتقدم في عصر النهضة. وكان اكتشاف الكهرباء من أهم الأحداث التي تميز بها العصر الحديث خاصة بعد أن استخدمها الإنسان كمصدر للقوة المحركة، وأحدث هذا انقلابا في وسائل المواصلات المختلفة من بريد وإذاعة أو الرادار، وأخضعت العلوم الأخرى كعلم النفس للطريقة العلمية مما يسر على العلماء دراسة الكثير من الظواهر النفسية[3].

أهم المصادر والمراجع:

1- شوقي عطا الله الجمل- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل -القاهرة، 2000.

2- موسوعة الشباب، مج 4، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

3- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 592.

[2] نفسه، ص 593.

[3] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 20.

الدرس الثامن: آثار الحضارة الاسلامية في النهضة الأوروبية

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم

أولا: لمحة تاريخية

ثانيا: تأثير الرحلات العربية على الكشوف الجغرافية الأوروبية

ملخص:

يتحدث الدرس عن تأثير الحضارة الإسلامية في النهضة الأوروبية، ويركز بشكل خاص على حركة الكشوف الجغرافية وكيف استعاد الأوروبيون نشاطهم بعد فترة الركود.

- يؤكد الدرس أن الرحلات والاستكشافات التي قام بها البحارة الأوروبيون كانت مستندة إلى خبرات وتجارب الرحالة المسلمين.
- يوضح كيف ساهمت هذه الرحلات في انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

بعد ظهور حركتي النهضة ثم الإصلاح الديني في أوروبا، ظهرت الكشوف الجغرافية التي كانت مدعومة من طرف الكنيسة البابوية، تبناها مجموعة من البحارة المغامرين، الذين جابوا البحار شرقا وغربا والمحيطات شمالا وجنوبا، والذين اعتمدوا في رحلاتهم على خبرة وتجربة الرحالة المسلمين الذين سبقوهم بفترة من الزمن، فكيف إستفاد البحارة الأوروبيون من تجربة البحارة المسلمين؟

أولا: لمحة تاريخية

إن من أبرز العوامل الحاسمة التي ترتب عنها انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة حركة الكشوف الجغرافية، ولقد كانت معرفة الأوروبيين بالعالم الخارجي ضئيلة جدا لا تتجاوز السواحل الشمالية من القارة الإفريقية، وكان سائدا أن حدود العالم لا تتجاوز الصحراء الكبرى وأن المحيط الأطلسي يمتد إلى مالا نهاية ولا يمكن إكتشاف ما فيه، وكان مسلمو الأندلس يطلقون عليه "بحر الظلمات"، ولكن في عصر

النهضة شغلت الجغرافيا والمعرفة الجغرافية قسطا هاما من الإهتمام خاصة أن الكنيسة لم تعد عائقا أمام هذه الرحلات الكشفية[1].

إن الحديث عن الكشوف الجغرافية والرحلات البحرية هي ليست وليدة الفترة الحديثة بل إن تاريخها أقدم وأبعد عمقا زمنيا، بحيث أن الرحلات الكشفية بدأت منذ القديم، فالحضارة المصرية القديمة لم تتوقف معرفتها عند الدلتا والوادي، وإنما شملت المناطق الصحراوية المجاورة؛ فأرسل الفراعنة بعثات كشفية لإستغلال الموارد الطبيعية لتلك المناطق من أحجار ومعادن وإستخدامها في بناء المعابد وغيرها، وقد عثر على خريطة توضح مناجم الذهب في صحراء مصر، فضلا عن ترك الفراعنة آثارا في سيناء تشير لإستغلال مواردهم.

أما في حضارة بلاد الرافدين فنجد أن البابليين اظهروا اهتماما واسعا بعلم الجغرافيا وكانت لهم أقدم خريطة للعالم؛ إذ رسمت منذ أربعة آلاف سنة على لوح من صلصال.

ولقد أنشأ الفينيقيون الذين عاشوا في الشريط الساحلي للحوض الشرقي للبحر المتوسط، والذين كانوا بحارة بالدرجة الأولى، والذين ظهروا للمسرح التاريخي منذ 1200 سنة قبل الميلاد والذين جابوا البحار شرقا وغربا، حوالي 50 مستعمرة في الحوض المتوسط منها: صقلية، سردينيا، قرطاجة...

كما كان الإغريق أصحاب حضارة فكرية راقية، وكانت كتاباتهم الجغرافية خير دليل على ذلك، خاصة الكتابات التي تكلمت عن رحلة الإسكندر، التي انطلقت من اليونان حتى وصلت إلى مصر.

ومن بعد ذلك ظهرت روما كقوة عظمى واسعة الأرجاء، وكانت الإسكندرية من الولايات الخاضعة للحكم الروماني، وكان لها دور رائد في المجال العلمي واجتذبت الجغرافيين أمثال: سترابون وبطليموس[2].

أما في فترة العصور الوسطى لأوروبا فقد كانت تميل إلى الجانب العلمي الأدبي المتعلق بالخرافات، وكان الإهتمام بعلم الجغرافيا ضئيلا، كما أن أوروبا في تلك الفترة تعرضت لغارات الجرمان المتتالية، ولم يكن هناك أي اهتمام بالثقافة والعلوم الأخرى، إلا أن كفة المعرفة الجغرافية هذه المرة مالت لصالح المسلمين وتجلت في المبادلات التجارية والغزو والحج، بالإضافة إلى الرحلات الفردية. وقد حققت الجغرافيا الوصفية بصفة خاصة تقدما كبيرا فظهرت أوصاف دقيقة لمناطق مختلفة في العالم، ومن رواد الرحلات في القرون الوسطى نذكر: ابن فضلان والبيروني وغيرهم[3].

---

[1] ميلاد المقرحي: **تاريخ أوروبا الحديث**، دار الكتاب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط 1، 1996، ص ص 63- 64.

[2] عيسى علي إبراهيم: **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجغرافية، الإسكندرية، 2000، ص ص 14، 42.

[3] عبد العزيز طريح شرف: **الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1993، ص ص 53- 54.

أما في العصور الحديثة كانت المعرفة الأوروبية بظاهرة الكشوف الجغرافية قليلة جدا بالمقارنة مع المعرفة الإسلامية بالعالم الخارجي، غير أنها تطورت وأصبحت تحت المجهر، خاصة من طرف الإسبان والبرتغاليين بفضل رحالة كان لهم الفضل الكبير أمثال: هنري الملاح وبارثولوميو دياز الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح وفاسكو دي غاما، الذي التف حول إفريقيا وصولا إلى الهند، والملاح الايطالي كريستوفر كولومبوس، وماجلان صاحب أعظم رحلة في التاريخ حيث دار حول العالم لأول مرة[1].

ثانيا: تأثير الرحلات العربية على الكشوف الجغرافية الأوروبية

كانت العصور الوسطى بالنسبة لأوروبا فترة ظلام بأتم معنى الكلمة، فقد كانت الكنيسة وحدها ملاذا للثقافة والعلم وكانت غارقة في خرافاتها وتأخرها عن ركب الحضارة[2]، وفي الوقت نفسه كان المسلمون على درجة كبيرة من التطور والمعرفة في المجال الجغرافي، خاصة في الشرق الأقصى (شرق آسيا والشرق الأقصى الروسي) وإفريقيا، فضلا عن آفاق دولتهم المتراخية[3]. وباستقرار الدولة الإسلامية وكثرة تنقل الحجاج وأهل العلم والرحالة والعناية بالجغرافيا، بلغ نضج المسلمين في المجال العلمي مستوى راقي[4]. كما كانت للطرق التجارية أهمية كبرى، والتي زادت في المناطق الصحراوية وساعدت على جمع كثير من المعلومات عن هذه الأنحاء البعيدة[5]، ويمكننا تصنيف جهود المسلمين الجغرافية إلى أربعة أقسام، وهي:

* **الجغرافيا الوصفية:** وترك فيها المسلمون كثيرا من المؤلفات التي يغلب عليها الطابع الوصفي، ومثال ذلك المؤلفات الغزيرة عن الرحلات البرية والبحرية. وبرز في هذا المجال جغرافيون كثر أمثال الخوارزمي بكتابه "صورة الأرض من كتاب الجغرافيا لبطليموس"، وكذلك أيضا البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردودة" بالإضافة إلى "رحلة ابن جبير" ورحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار".

* **الجغرافيا الفلكية والرياضية:** كانت جهود المسلمين في الجانب الفلكي والرياضي من الجغرافيا جزءا من تلك الحركة العقلية، ويمكننا أن نميز في هذه الصدد أربعة مدارس رئيسية وهي: بغداد ومصر وشمال إفريقيا والأندلس. كما اهتم المسلمون في هذه الفترة بترجمة المؤلفات الرومانية خاصة كتاب الجغرافية لبطليموس الذي كان فلكيا ورياضيا.

---

[1] المقرحي، المرجع السابق، ص 64.

[2] هربرت فيتشر: **أصول التاريخ أوروبي الحديث**، تر: احمد عبد الرحيم وآخرون، دار المعرف، مصر، ط 3، 2001، ص 10.

[3] زكي محمد حسن: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 178.

[4] نقولا زيادة: **الجغرافيا والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1987، ص 12.

[5] محمد موسى العريري: **جغرافية القارة الإفريقية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص93.

* **تقدم المفاهيم الجغرافية:** وفي هذه المرحلة قام المسلمون بتقديم المفاهيم الجغرافية سواء في الظواهر الطبيعية أو البشرية، فعلى سبيل المثال يظهر في كتاب "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" شرحا لعملية كسوف الشمس وخسوف القمر... وكذلك معالجة ظواهر الجو وتركيب المعادن وغيرها. وتعتبر مقدمة ابن خلدون البداية الحقيقة للجغرافيا الإجتماعية.

* **فن الخرائط:** وأبرز من نشط في هذه الفترة في رسم الخرائط نجد المؤرخ المسلم أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (871- 957)م، والذي تعتبر خريطته من أدق الخرائط التي ظهرت فيها حدود العالم المعروف وقتها. ولم تلبث الخرائط العربية أن واصلت تقدمها على يد أبي عبد الله الشريف الإدريسي (493- 560هـ/ 1100- 1166م)، الذي كانت خريطته المشهورة أوج ما بلغه فن الخرائط عند المسلمين.

وما يمكن أن يقال، أن العرب المسلمين استطاعوا أن يحافظوا على استمرار وتقدم علم الجغرافيا، وتطور الفكر الجغرافي عبر العصور الوسطى، ولقد مهد كل هذا السبيل إلى النهضة التي شهدها علم الجغرافيا في أوروبا في مطلع العصر الحديث[1].

وفي هذا الصدد، فإن أكثر الإشارات إبهارا وإثارة للدهشة في اكتشاف القارة الأمريكية؛ هي تلك الخريطة التي اكتشفها المستشرق الألماني كاهل في مكتبة طوب كابي سراي بإسطنبول، ونشرها في العالم سنة 1929م بعد تحقيق دولي استمر عدة سنوات، وهي من تأليف جغرافي مسلم هو بيري رايس واسمه الكامل: محي الدين بن محمد الريس. وهي خريطة ملونة ومرسومة بعناية على جلد غزال رسمها في غاليبولي عام 1513م. وكان بيري ريس أحد قادة البحرية في الأسطول التركي، الذي كان سيد البحار في تلك الآونة، فقد حيرت هاته الخريطة العلماء وأذهلت العالم، فهي تبين شرقي المحيط الأطلسي حيث السواحل الإسبانية والإفريقية الغربية... أما في غربي المحيط فيمكن رؤية القارتين الأمريكيتين بسواحلها وجزرها وموانئها وحيواناتها... فضلا عن سكانها الأصليين الهنود الحمر، الذين رسمهم عراة وهم يرعون الغنم[2].

كانت هذه صورة موجزة لما أورده جغرافيو الأندلس عن سبق المسلمين لاكتشاف أمريكا يثبتها ما أورده العالم اللغوي الأب: إنستاس الكرملي من أن المسلمين قد وصلوا أمريكا من لشبونة قبل كولمبوس بفضل

---

[1] محمد صبحي عبد الحكيم: **دراسات في الجغرافيا العامة**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص ص 5- 7.

[2] محمد كرد علي: **الإسلام والحضارة العربية**، ج 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ط 3، 1968، ص 282.

معرفتهم لتيار الخليج الحار في الأطلسي، فيقول: "سبق العرب سائر الأمم إلى معرفة هذا التيار وخواصه وإلى حركته من المكسيك إلى إيرلندا وبالعكس"...[1].

مما سبق يمكن القول، أن المسلمين استطاعوا أن يحافظوا على استمرار وتقدم علم الجغرافيا، وتطور الفكر الجغرافي في العصور الوسطى. ولقد مهد كل هذا السبيل إلى النهضة التي شهدها علم الجغرافيا في أوروبا في مطلع العصر الحديث.

أهم المصادر والمراجع:

1- راغب السرجاني: العلم وبناء الأمم (دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة)، ، مؤسسة اقرأ، القاهرة- مصر، ط 1، 1427هـ/ 2007م.

2- زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

3- عبد العزيز طريح شرف: الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1993.

4- عيسى علي إبراهيم: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجغرافية، الإسكندرية، 2000.

5- محمد صبحي عبد الحكيم: دراسات في الجغرافيا العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.

6- محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ط 3، 1968.

7- محمد موسى العريري: جغرافية القارة الإفريقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.

8- ميلاد المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث، دار الكتاب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط 1، 1996.

9- نقولا زيادة: الجغرافيا والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1987.

10- هربرت فيتشر: أصول التاريخ أوروبي الحديث، تر: احمد عبد الرحيم وآخرون، دار المعرف، مصر، ط 3، 2001.

[1] راغب السرجاني: **العلم وبناء الأمم (دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة)**، مؤسسة اقرأ، القاهرة- مصر، ط 1، 1427هـ/ 2007م، ص 156. نقلا عن الأب إنستاس الكرملي: عرف العرب أمريكا قبل أن يعرفها الغرب، مجلة المقتطف، العدد 6.

الدرس التاسع: حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوروبي الحديث

عناصر الدرس:

مخطط الدرس:

تقديم

أولا: دوافع ومراحل ورواد حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية

1- دوافع حركة الكشوف الجغرافية

1-1 الدوافع الإقتصادية

1-2 الدوافع السياسية

1-3 الدوافع الإجتماعية والدينية

ثانيا: حركة الكشوف الجغرافية ومراحلها

ثالثا: رواد الكشوف الجغرافية ورحلاتهم

1- في القارتين الإفريقية والآسيوية

2- في العالم الجديد أو القارة الأمريكية

رابعا: تأثير حركة الكشوف الجغرافية على الحركة الاستعمارية

1/ على الصعيد السياسي

2/ على الصعيد العسكري

3/ على الصعيد الإقتصادي

4/ على الصعيد الإجتماعي

5/ على الصعيد العلمي

6/ على الصعيد الديني

أهم المصادر والمراجع

ملخص:

يناقش الدرس حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية الحديثة، دوافعها المختلفة، مراحلها، روادها، وكذلك تأثيرها على الاستعمار الأوروبي من جوانب سياسية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، علمية ودينية.

- بداية الدوافع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الدينية التي دفعت الأوروبيين للانطلاق نحو البحار.

- مراحل الكشوف الجغرافية وأبرز الرحلات في أوروبا، أفريقيا، آسيا، والعالم الجديد.
- كيف أثرت هذه الكشوف على النهضة الأوروبية والاستعمار بكل أبعاده.

تقديم:

إن فترة العصور الحديثة ذات أهمية بالغة سواء لدى المؤرخين أو الباحثين، وذلك لما تحمله في طياتها من أحداث تاريخية هامة، ولعل من أهم تلك الأحداث حركة الكشوف الجغرافية، التي كانت من أسباب تطور أوروبا ونهوضها من مظاهر التخلف والتدهور الذي كانت تعيشه زمن العصور الوسطى، وتخلصها من قيود الكنيسة التي كانت مسيطرة آنذاك، فماهي الدوافع الحقيقية لهذه الكشوفات؟ ومن هم رواد هذه الحركة؟ وما العلاقة بينها وبين الحركة الإستعمارية؟

أولا: دوافع ومراحل ورواد حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية

1- دوافع حركة الكشوف الجغرافية:

إن الباحث عن دوافع الكشوف الجغرافية يتبادر إلى ذهنه أسئلة وإشكاليات عديدة: لماذا كان المستكشفون من أوروبا عامة وإسبانيا والبرتغال خاصة؟ ولماذا لم تكن المبادرة من بلدان أخرى كالدولة الإسلامية أو الصين أو الهند أو اليابان؟[1]

1-1 الدوافع الإقتصادية:

سيطر على فترة العصور الوسطى الطبقة الإقطاعية، التي كانت تستولي على مناطق واسعة من الأراضي لتوسيع رقعة ممتلكاتها، ولقد ازداد نفوذ هذه الطبقة، وزادت حدتها في نهاية القرن العاشر حتى شملت غرب أوروبا، وأصبحت الأراضي الزراعية لا تتسع لها؛ فقادت هذه الطبقة الحروب الصليبية إلى المشرق بحثا عن مناطق أخرى. أما في العصور الحديثة فقد نشأت طبقة أخرى من رحم الطبقة الإقطاعية وهي الطبقة البرجوازية، وكان نشاطها الاقتصادي هو التجارة الذي قادها إلى حركة الكشوف الجغرافية أولا ثم حركة الاستعمار ثانيا[2].

ولقد كان من نتائج التغير الذي شمل جميع الميادين في أوروبا أن تحولت إلى العالم الصناعي، ولذلك كانت بحاجة إلى البحث عن أسواق جديدة توفر احتياجاتها[3].

---

[1] علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 95.

[2] رمضان، المرجع السابق، ص ص 186- 187.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، الاسكندرية، 1999، ص 477.

كما ترتب عن النهضة الأوروبية ازدياد حاجة أوروبا إلى المعادن والتوابل والحديد، ولقد كانت أوروبا في العصور الوسطى تكفي نفسها بنفسها بالنسبة لكثير من السلع، ولكن كان ينقصها بعض المنتوجات التي لا تستطيع إنتاجها محليا بسبب عدم صلاحية المناخ لزرعها، مثل: القطن والحرير ومواد أخرى وعلى رأسها مادة التوابل الضرورية لحفظ لحوم الماشية، والتي كان مصدرها الوحيد هو جزر الهند الشرقية، والتي أصبحت فيما بعد تصل إلى أوروبا إما:

1- على الطريق البري من الصين إلى فارس ثم آسيا الصغرى فالقسطنطينية وموانئ البحر الأبيض المتوسط.

2- على الطريق البحري من الخليج ومنه إلى نهر الفرات، وموانئ سورية ومنها إلى موانئ أوروبا الجنوبية عن طريق البحر الأبيض المتوسط.

3- عن طريق البحر الأحمر ومنه إلى النيل ثم الإسكندرية. وكانت البرجوازية التجارية الإيطالية تحتكر هذه التجارة في جزءها الغربي، أما البرجوازية العربية في جزءها الشرقي، وبذلك أحست البرجوازية الإسبانية والبرتغالية بوطأة هذا الإحتكار، وبدأت تفكر في الكشف عن طريق بحري حول إفريقيا للوصول مباشرة إلى الهند[1].

كذلك أسهمت حاجة أوروبا الشديدة إلى المعادن الثمينة كالذهب والفضة في دفع حركة الكشوف، وذلك للخلاص من الأزمة الاقتصادية التي انتابتها خلال القرن الخامس عشر، وكان من أبرز مظاهرها تضاؤل الإنتاج وانكماش المبادلات التجارية وهبوط الأسعار، والهدف الرئيسي هو تحقيق الربح التجاري والتخلص من الاحتكار الإسلامي.

1-2 الدوافع السياسية:

إن دوافع حركة الكشوف الجغرافية لم تقتصر على الجانب الإقتصادي فقط، بل كانت هناك دوافع أخرى سياسية تتمثل في محاولة دول غرب أوروبا كإسبانيا والبرتغال خاصة السيطرة على السواحل الإفريقية، وكانت أول مبادرة من جانب البرتغال التي غزت سبتة في 1415م. كما أن الأوروبيين أرادوا تعويض ما خسروه في الشرق بفتح العثمانيين للقسطنطينية التي كانت عاصمة لهم[2].

---

[1] رمضان، المرجع السابق، ص ص 188- 189.

[2] المقرحي، المرجع السابق، ص 67.

كما أن رغبة الدول الأوروبية في تكوين إمبراطوريات إستعمارية فيما وراء البحار لتوسيع مناطق نفوذها، أدى إلى التنافس في حركة الكشوف الجغرافية لتدخل فيها أيضا على غرار إسبانيا والبرتغال كلا من هولندا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول، التي كانت طامحة إلى توسيع نفوذها خارج أوروبا[1].

1-3 الدوافع الإجتماعية والدينية:

- إستغلال الكثير من الكهنة والمبشرين روح مغامرة الإبحار، وبتشجيع جمعيات الكشافة الجغرافية التي كانت تدعمهم للقيام بهذه الرحلات من أجل نشر المسيحية والتمهيد للحروب الصليبية على الثغور والقوى الإسلامية وحتى على البلدان والأقاليم البعيدة عن مناطقهم.

- رغبة الأوروبيين للشهرة عن طريق القيام برحلات كشفية لمناطق نائية جديدة.

- إستمرار روح النهضة الأوروبية التي كانت من نتائجها تأسيس جمعيات ومدارس تعليمية كشفية لدراسة الأراضي الجديدة والنائية، والتي كانت لها أيادي في تشجيع حركة الكشوف الجغرافية.

- وجود بحارة ماهرين في أوروبا مزاولين لنشاط الملاحة في تلك الفترة فزادت بذلك حدة هذه الحركة[2].

- التقدم الصناعي أدى إلى تحرير العقل الأوروبي من سيطرة الكنيسة وتحكمها في تفكيره، ومن هنا انطلق الإنسان الأوروبي في الإختراع والإبداع، أدى هذا إلى وجود فائض في السكان في دول أوروبا التي سمحت لرعاياها بالهجرة، ودفعتهم إلى ركوب البحر والمضي قدما نحو أفق جديدة[3].

ثانيا: حركة الكشوف الجغرافية ومراحلها

إن حركة الكشوف الجغرافية ماهي إلا عبارة عن رحلات قام بها البحارة الأوروبيون في العصر الحديث، وجاءت نتيجة أهداف تطلعت إليها دول أوروبا خاصة إسبانيا والبرتغال، وتهدف إلى مواصلة الحروب الصليبية ضد المسلمين[4]. ولقد مرت حركة الكشوف الجغرافية بثلاثة مراحل وهي: مرحلة الكشوف المحلية ثم المرحلة الإقليمية ثم مرحلة الكشوف العالمية.

- المرحلة الأولى: تعتبر المرحلة التمهيدية كان تطلع البحارة الأوروبيين فيها إلى مناطق جديدة وتفاصيل الأقاليم الجديدة.
- المرحلة الثانية: يزيد فيها الإتصال وذلك بالتعرف أيضا على المناطق المجاورة.

---

[1] علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 99.

[2] نفسه، ص ص 98- 100.

[3] جون دونلي فيج: **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982، ص 100.

[4] المقرحي، المرجع السابق، ص 67.

- المرحلة الأخيرة: يتم إرسال البعثات قصد السيطرة والهيمنة على جميع المجالات[1].

ثالثا: رواد الكشوف الجغرافية ورحلاتهم

1- في القارتين الإفريقية والآسيوية:

يعتبر البرتغاليون أول بدأ عمليات الاكتشاف، بدء بشبه جزيرة إيبيريا في القرن الخامس عشر الميلادي، وقد ساعدت حركة الكشوفات الجغرافية هذه في نشوء الإمبراطورية البرتغالية. وهناك عدة عوامل وأسباب دفعت الأهالي للقيام برحلات الاستكشاف، وتشتمل هذه العوامل على وجود الميناء البحري (لشبونة)، وطبيعة الأرض التي سكنها شعب البرتغال الجبلية، والساحلية، وذات الموارد المحدودة التي لا تفي باحتياجات السكان. وقد استفاد البرتغاليون في استكشافاتهم من معلومات المسلمين الملاحية عن المحيط الهندي وبحر الصين، بالإضافة إلى دراساتهم المتعلقة بالتيارات البحرية ومواعيد الرياح.

1-1 الأمير هنري الملاح:

ساعد البرتغاليون على القيام بحركة الكشوف الجغرافية ما تلقوه من فنون البحر، وما تعلموه من بناء السفن الكبيرة، كما وقعت في عهد أمير البرتغال هنري الملاح (Don Hanrique) (1394- 1460)م بن الملك جون. كما تلقى البرتغاليون فنون الملاحة عن الجنويين الذين قاموا بأول محاولة للطواف حول ساحل إفريقيا سنة 1291م. وبالإضافة إلى ذلك سيطرت على هنري الروح الصليبية المنتشرة ذلك الوقت. ولم يكن في استطاعة البرتغال وهي بلاد صغيرة فقيرة أن توسع حدودها البرية، إذ كانت هذه الحدود مشتركة مع جارتها إسبانيا فلم يتبق لها إلا التوسع ناحية البحر بالتجارة والإستعمار. ولم يهتم هنري كثيرا بالخرافات المرتبطة بالإكتشافات في إفريقيا والتي كانت سائدة ذلك الوقت، فأسس أكاديمية بحرية ومرصدا على الطرف الجنوبي لشاطئ البرتغال، وزودهما بمجموعة ضخمة من المراجع والخرائط، واستقدم صفوة العلماء والجغرافيين، وكان يجمع المعلومات من كل ربان عائد من رحلة بحرية، وصنفت هذه المعلومات في مصنفات خاصة. وخرج هنري من دراساته بفكرة تناقض الرأي السائد عند علماء الجغرافيا في ذلك الوقت، والذين كانوا يعتقدون أن إفريقيا ملتصقة بالقطب الجنوبي، وأنه لا سبيل إلى الطواف حولها من ناحية الجنوب. وانصرف هنري إلى بذل الجهود لتحسين بناء السفن وفي بضع سنوات انزلت إلى البحر سفن قوية تراوحت حمولتها بين 80 إلى 100 طن[2].

---

[1] علي إبراهيم، المرجع السابق، ص 7.

[2] عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 85- 87.

وفي عهد الأمير هنري بدأت الخطوات الأولى في الكشوفات الجغرافية، واستطاع البرتغاليون الوصول إلى جزيرة ماديرا ثم جزر الأزورا، ثم وصلوا في عام 1446م إلى مصب نهر السنغال وإلى الرأس الأخضر، واستطاعوا الوصول إلى بلاد غانا. وانطلق التجار والملاحون يقتنصون أهالي تلك البلاد وينقلونهم إلى أسواق أوروبا لبيعهم عبيدا. ولقد لقيت تلك الرحلات تشجيعا كبيرا من هنري إلى غاية وفاته في 1460م، وأصبحت بلاده رائدة الدول الأوروبية في مجال الكشوف الجغرافية.

وبعد وفاة هنري اجتاز البرتغاليون خط الإستواء إلى رأس كاترين في عام 1471م، وتأكدوا أن القارة الإفريقية تمتد وراء هذا الخط، وأن الملاحة في هذه المناطق ليست عملية إنتحارية كما كان يعتقد الكثيرون. وفي عام 1482م وصلوا إلى مصب نهر الكونغو واحتكروا حق الملاحة الساحلية؛ أي بمحاذاة الشاطئ الإفريقي حتى غينيا[1].

1-2 بارثولوميو دياز:

خطت الكشوف الجغرافية البرتغالية خطوة هامة؛ إذ قام بارثولوميو دياز الذي عاش في الفترة 1450-1500م برحلة وصلت إلى طرف إفريقيا الجنوبي، واجتاز رأس الرجاء الصالح. ولكن دياز لم يستطع المضي في رحلته لأنه واجه تمردا خطيرا من البحارة المرافقين له، فقطع رحلته وعاد إلى البرتغال[2].

1-3 فاسكو دي قاما:

بعد فترة ركود استأنف البرتغاليون جهودهم في مواصلة الكشوف الجغرافية سعيا إلى طريق بحري متصل إلى الهند حول إفريقيا. وأوفد عمانويل الثاني ملك البرتغال في عام 1497م الرحالة فاسكو دي قاما (Vasco da Gama) (1469- 1524)م، الذي وصل بأول رحلاته المشهورة إلى الهند بطريق يدور حول إفريقيا. ففي مارس 1498م وصل دي قاما إلى موانئ شرق إفريقيا، وكان منها موزنبيق وممبسة وماليندي، وكانت هذه الثغور خاصة بالتجار العرب. ومن ماليندي اتجه إلى الهند بمساعدة ملاح عربي، فوصل في ماي 1498م إلى ثغر كاليكوت (قاليقوط) على الساحل الغربي للهند المسمى ساحل ممبار. وبعد أن أقام دي قاما قرابة ثلاثة شهور في كاليكوت قرر العودة إلى البرتغال، فوصلها في سبتمبر عام 1499م وهو يحمل كنوزا من الأحجار الكريمة والسلع الهندية وغيرها[3].

---

[1] عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 87.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص 88.

وبوصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي في عام 1498م أقاموا لأنفسهم مراكز تجارية مسلحة في إفريقيا الشرقية، وفي الساحل الغربي للهند، وفي المحيط الهندي والخليج العربي، وعملوا على بسط سيطرتهم العسكرية والتجارية على هذه المنطقة ابتغاء احتكار تجارة الشرق ونقلها إلى أوروبا عبر الطريق الجديد[1].

وتوالت رحلات كابرال ودي قاما، وعندما نشط البرتغاليون على ساحل الملبار شرع المغاربة المسلمون في البحث عن طريق آخر إلى متاجر الشرق الأقصى، واستخدموا طريقا جديدا من الشواطئ العربية والإفريقية إلى ملكا (Malacca)؛ أي (ساحل شبه جزيرة الملايو الغربي) متحاشين ساحل الملبار. ولذلك قرر البرتغاليون الإستيلاء على مفاتيح الشرق الأقصى بالإستحواذ على مراكز المسلمين في الشاطئين الإفريقي والعربي وفي هرمز وفي عدن؛ أي أن خطة البرتغاليين الجديدة كان معناها مهاجمة الملاحة الإسلامية في جميع وجوه نشاطها بدلا من مناصبة العداء لأمير واحد معين، وقد قام بتنفيذ هذه السياسة كل من فرنسوا الميدا (1450-1510)م والبوكيرك (Albuquerque) (1453- 1515)م الذي استولى على جوا في نوفمبر عام 1510م على ساحل الملبار. وقد جعلها البرتغاليون منذ ذلك الحين المركز الرئيسي لممتلكاتهم الآسيوية[2].

2- في العالم الجديد أو القارة الأمريكية:

لم تقل الكشوف الإسبانية من ناحية الأهمية عن جارتها البرتغالية[3]، فقد كانت تنقسم إلى مرحلتين وهما:

المرحلة الأولى (1492- 1516)م:

سطع في هذه المرحلة اسم شخصية مغامرة فذة وهو كريستوفر كولمبوس[4]، الذي سيطرت عليه فكرة الوصول إلى شواطئ آسيا الغربية عن طريق الإلتفاف من المحيط غربا، فالتجأ بذلك إلى ملوك إسبانيا (الملكة إيزابيلا والملك فرديناند)[5]. ولقد قام كولمبوس بأربع رحلات كشفية بعد أن حفز الملك فرديناند بأنه سيحضر له كميات كبيرة من الذهب فكانت أول رحلة له في 03 أوت 1492م واكتشف فيها إحدى جزر البهاما وجزيرة هايتي والشاطئ الشمالي لكوبا. وأطلق على أهالي الأراضي التي اكتشفها اسم "الهنود"[6]. وبعد عقد

---

[1] عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 88.

[2] نفسه، ص 89.

[3] أنظر ملحق الخرائط رقم (1): خريطة طرق الكشوف الجغرافية الكبرى البرتغالية والإسبانية.

[4] مايكل هارت: **الخالدون المائة**، المكتبة المصرية الحديثة، القاهرة، ص ص 43- 44.

[5] الملكة إيزابيلا (1469- 1504)م والملك فرديناند (1468- 1516)م.

[6] Rosie Alexander, Kate Miles, Angela Royston: **Encyclopédie Questions-Réponses**, Réalisation: Miles Kelly Publishing Ltd, Edition NATHAN, Paris, Décembre 2008, p. 252.

إتفاقية طورديسيلاس[1] بين إسبانيا والبرتغال[2] لتحديد مناطق نفوذ كل منهما في الأراضي الجديدة المكتشفة، استأنفت الرحلات الإسبانية من جديد.

المرحلة الثانية (1516– 1600)م:

تعتبر هذه المرحلة مرحلة الأوج والعطاء بالنسبة للكشوف الإسبانية، وذلك بفضل الملاح البرتغالي فرديناند ماجلان (1480- 1521)م، وذلك في عهد الإمبراطور شارل الخامس (1519- 1556)م الذي آمن هو أيضا بفكرة كولمبوس، ورأى أنه يمكن الوصول إلى الهند عن طريق العبور أسفل أمريكا الجنوبية إلا أن حكومة البرتغال رفضت مشروعه، فلجأ إلى إسبانيا التي وافقت عليه. كما غزا الإسبان المكسيك وأمريكا الوسطى والبيرو وأمريكا الجنوبية. وكانت بذلك هذه المرحلة هي أوج عظمة الكشوف الإسبانية.

2–1 كريستوفر كولومبس:

ولد كريستوفر كولومبس[3] سنة 1451م في مدينة جنوة بإيطاليا، التي اشتهرت آنذاك بتقاليدها البحرية، وبوجود أكبر مدرسة عالمية للبحرية فيها في عائلة متواضعة[4]. كان والده دومنيك كولومبس نساجا يمارس مهنته في إحدى ضواحي مدينة جنوة. أما أمه فتسمى سوزان فونتانة روزا التي عاصرت اكتشافاته العظيمة، وقد كان لكريستوفر أخوان هما برثولوميو وجاكوبو.

بدأ كولومبس دراسته في جنوة، وكانت الموضوعات التي استهوته هي: الجغرافيا– الفلك– الرياضيات... وكان يعتقد أحد الأمرين: إما أن تكون هناك أراضي في غرب المحيط الأطلسي، وإما أن ينتهي الأمر بالمسافر إلى شواطئ آسيا الغربية[5].

قصد كولومبس حوالي سنة 1475م لشبونة التي سبقه إليها أخوه الأكبر، الذي كان يعمل بها كرسام خرائط وبائع كتب، وقد تعرف بواسطة أخيه على الأوساط العاملة في البحر، والمهتمة بصناعة السفن، والدراسات الجغرافية والفلكية، وتزوج كذلك من فتاة برتغالية[6].

---

[1] وُقعت معاهدة طورديسيلاس أو توردسيلاس في جوان 1494؛ إذ قُسمت الأراضي المكتشفة حديثًا خارج أوروبا بين ولي عهد البرتغال وتاج قشتالة (إسبانيا).

[2] سليمان نوار– محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص ص 65- 66.

[3] أنظر ملحق الصور رقم (4): كريستوفر كولومبس (1451- 1506)م.

[4] محمد محمود النيرب: **تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية**، ج 1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة– مصر، ط 1، 1997، ص 20.

[5] اسماعيل العربي: **تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 84.

[6] النيرب، المرجع السابق، ص 20.

وفي سنة 1481م التحق كولمبوس بالخدمة لدى البرتغال، كان بحارا إستهوته الملاحة عن طريق التجارة وإشتغل في أول الأمر في بعض الرحلات التجارية من إيطاليا إلى إنجلترا ثم انتقل إلى لشبونة واستقر هناك، وعكف على تعلم القراءة والكتابة حتى استطاع أن يقرأ الأعمال الجغرافية التي كانت مشهورة في ذلك الوقت.

وكانت قصص مغامرات ماركو بولو البندقي (15 سبتمبر 1254 – 8 جانفي 1324)م قد ألهبت خيال كولومبس منذ نعومة أظفاره، ومن جهة أخرى تأثرت تخميناته بالخرائط التي رسمت اعتمادا على نظريات بطليموس، التي تعطي امتدادا للقارة الآسيوية في اتجاه الشرق، وتصور امتداد شواطئها اتجاه الشواطئ الإسبانية الغربية، ومن ثم سيطرت على عقله فكرة سلوك طريق أقصر للوصول إلى آسيا الغربية[1] وشواطئ الهند بل حتى جزيرة زيبانجو في اليابان، التي تحدث عنها ماركو بولو بعدما زارها خلال رحلته، وذلك عن طريق الإلتفاف من المحيط الأطلسي غربا.

وكان أحد أصدقاء كولومبس ويدعى توسكانيلي[2]، وكان عالم إيطالي قد رد في 1474م على خطاب له بشأن رأيه في الوصول إلى قارة آسيا عن طريق الإتجاه غربا قائلا أنه من الممكن تحقيق ذلك المشروع، وأن كثيرا من الفوائد السياسية والتجارية سوف تجنى من وراء نجاحه[3].

"كيف نصل إلى الغرب عن طريق الشرق" هذه هي الفكرة التي كانت تسيطر على كولومبس، الذي عاش عدة سنوات في لشبونة كما سبق وأن أشرنا، لذا فإذا توافرت له السفن والرجال فقد يثبت صحة أن ما وراء الأطلسي ما هي إلا جزر الهند الغربية[4].

طرح كولومبس فكرته على جون الثاني ملك البرتغال الذي كان معروفا باهتمامه بمثل هذه المشاريع، حيث أقنعه بتكوين لجنة لدراسة امكانياته، ولكن الرأي الذي انتهت إليه اللجنة في 1486م كان ببساطة واختصار أن: "الإيطالي معتوه"[5]. كما رفض طلبه أيضا من ملك انجلترا هنري السابع نظرا لارتفاع تكاليف عمله[6].

وذات يوم جمعت الصدفة بين كولومبس وقسيس يدعى "جوان مارشينا"، وبعدما تداولا أطراف الحديث اندهش القسيس لأناقة مظهره، وانقلبت إلى إعجاب بحدة ذكائه ونضوج أفكاره، ولما عرض عليه نظريته وافقه

---

[1] يقصد بآسيا الغربية الأراضي الواقعة غرب القارة الأوروبية بمفهوم ذلك العهد، باعتبار أن أوروبا المركز في الشرق وآسيا في الغرب.

[2] العربي، المرجع السابق، ص 86.

[3] عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 320.

[4] محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: **موسوعة المعرفة**، مج 1، مطبعة داغر، لبنان، 1971، ص 140.

[5] نفسه.

[6] النيرب، المرجع السابق، ص 20.

على استنتاجاته، ونصحه بأن يقصد بلاط ملكة اسبانيا إيزابيلا لطلب العون والمساعدة لتنفيذ مشروعه للقيام برحلة في اتجاه الغرب وراء الأطلسي، وكذلك زوده برسائل موجهة للقسيس الذي يتلقى اعترافات الملكة الكاثوليكية[1]. ولم يلبث أن تمكن من عرض خطته على الملك والملكة التي حددت له مقابلة في ماي 1486م كلفت الملكة علماء جامعة سالامانكا بدراسة خطته، ومرت سنوات عديدة قبل أن يسمع قرارهم، وجاء في القرار: "إن الأمر ليبدو مستحيلا لأي إنسان على قدر من التعليم إمكانية تحقيق هذه الخطة" فترك البلاط الإسباني متوجها إلى فرنسا، التي بدت أقل استعدادا لأن الفرنسيين لم يكونوا قد أظهروا بعد غير قليل من الإهتمام بأسرار الأطلسي، وكانت أبصار ملك فرنسا موجهة إلى الفتوحات في إيطاليا وليس إلى الغرب. ولكن حينما كان كولومبس على وشك أن يطأ الأرض الفرنسية إذا بمجموعة من الجنود الإسبان تباغته وتقدم له رسالة من إيزابيلا، قررت فيها أن ترفض نصيحة علمائها، وأنها على استعداد لمساعدته على تنفيذ خطته[2].

وفي صبيحة الجمعة الثالث من أوت 1492م أقلعت من ميناء بالوس ثلاث سفن تحمل أسماء نينا وبنتا وسانتا ماريا التي كانت تحت قيادة كولومبس، وكان طاقمها يقل في مجموعه 100 شخص[3].

2-2 أمريكو فيسبوتشي:

ولد في مدينة فلورنس في سنة 1441م، تدرب أمريكو على التجارة في إسبانيا مدة من الزمن، وأصبح مزودا للسفن، وقد أغراه النجاح الذي حققه مواطنه كريستوفر كولومبس، الأمر الذي دفعه إلى ترك التجارة والبحث عن المغامرة نظرا لمعلوماته الكافية في الجغرافيا والكوزموغرافيا[4]، فلقد كان أمريكو هو الشخصية الثانية التي لعبت دورا كبيرا في اكتشاف العالم الجديد؛ إذ ذكر بعض الباحثين أنه قام بأربع رحلات متتالية بين عامي 1501- 1503م، وقد كتب كتابات غزيرة ومفصلة عن رحلاته حتى فاقت شهرته شهرة كولومبس، وهكذا عندما كان واضعو الخرائط يبحثون عن اسم يطلقونه على القارتين الشمالية والجنوبية، فقد اختاروا أن يكرموا فيسبوتشي بإطلاق اسم أمريكا على العالم الجديد[5].

2-3 هيرناندو كورتيس:

---

[1] العربي، المرجع السابق، ص 84.

[2] إبراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، ص ص 140- 141.

[3] نفسه، ص 140.

[4] علم أوصاف الكون ورسم الدنيا (*الكوزموغرافيا*)، وهو العلم الذي يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام، وهو يشمل علوم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا.

[5] عمر، المرجع السابق، ص 321.

ولد بإسبانيا في سنة 1485م، ينتمي إلى أسرة من النبلاء، كان ميالا إلى حمل السلاح[1]، قام بقيادة حملة عسكرية باتجاه "المكسيك" حاليا مرتكبا العديد من المجازر، وتوفي في سنة 1554م.

2-4 فرنسيسكو بيزار:

ولد في سنة 1475م في تروخيو بإقليم إكستريمادورا الإسباني من أب برجوازي، ليرحل إلى أمريكا في الحملة التي قام بها فاسكو نونيز دي بالباو. وفي مرحلة تالية ارتبط بالقائد دييغو دي ألماغرو، وتولى هو بنفسه قيادة عدة حملات للغزو والنهب. كان رجلا متوحشا سفاكا للدماء، وبعد أن أصبح يشغل منصب نائب الملك في المناطق التي اكتشفها، قتله مواطنوه الإسبان إثر قتله لزميله "ألماغرو"[2].

رابعا: تأثير حركة الكشوف الجغرافية على الحركة الاستعمارية

1/ على الصعيد السياسي:

لقد خرج الاستعمار من دائرته التقليدية حول البحر المتوسط، وانتقل إلى مناطق بعيدة من عالم متناه إلى عالم لا متناه، كما ازداد تنافس الدول الأوروبية في السيطرة على مناطق جديدة في إفريقيا وآسيا والعالم الجديد، ومن هنا كانت بداية التوسع والاستعمار الأوروبي الذي استمر لقرون[3].

كما نجد أن من أهم نتائج حركة الكشوف، والتي كانت في مصلحة حركة الإستعمار الحديث أن تغيرت موازين القوى السياسية في تلك الفترة، فنجد أن البلاد الإسلامية فقدت مصدر من مصادر الثراء، وتدهورت بذلك الكتلة الإسلامية وبدأ يتصدع هيكلها، بالإضافة إلى التعرف على قارة جديدة من العالم، استغلتها الدول الأوروبية كالإسبان والبرتغال قصد توسيع مناطق نفوذهم خارج القارة الأوروبية[4].

2/ على الصعيد العسكري:

استطاعت فرنسا خلال تاريخها الإستعماري أن تكون إمبراطورية في القرن السابع عشر، وكان ميدانها العالم الجديد والهند وجزر المحيط الهندي (موريشيوس بوربون)، فعندما قامت بكشوفاتها الجغرافية في أمريكا الشمالية، اكتشفت إقليم كندا وبلغت نهر سانت لورانس، ووصلت لموقع مدينة كوبيك (كبيك) الحالية سنة 1535م، كما توغلت في أراضي ولاية نيويورك الحالية، ومنطقة البحيرات الكبرى، وقد أدى ذلك إلى تأسيس شركة الهند الغربية في باريس سنة 1664م وإلى تنشيط الكشوفات في كندا. وفي عام 1672م نجح المستكشف

---

[1] عمر، المرجع السابق، ص 109.

[2] نفسه، ص 122.

[3] المقرحي، المرجع السابق، ص 74.

[4] علي إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 150، 307.

الفرنسي دي لاسال في اكتشاف نهر المسيسيبي ثم خليج المكسيك وأنشأ مستعمرة لويزيانا الفرنسية نسبة إلى الملك لويس 14[1]، كما أسست فرنسا في 1717م مدينة نيو أورليانز، وهكذا احتل الفرنسيون كندا وحوض المسيسيبي ومنطقة سانت لورانس. غير أنها لم تستطع أن تحافظ على ذلك النفوذ لأنها استعمرت أراضي واسعة ولم تستطع حمايتها؛ إذ تقوضت أركانها بعد هزيمتها في حرب السنوات السبع[2].

قامت حروب عديدة في القارة الأوروبية بين فرنسا وإنجلترا في أوروبا امتد صداها إلى المستعمرات الفرنسية، والتي كانت قد شكلت حزاما حول المستعمرات الإنجليزية في العالم الجديد، وكانت الأخيرة لا تزال على ولائها للوطن الأم، فساندت الجيش الإنجليزي في الدفاع عن مستعمراته والتصدي للفرنسيين في الشمال والغرب، فاندلعت حرب السبع سنوات (1755- 1763)م التي انتهت بهزيمة فرنسا وتوقيع معاهدة باريس سنة 1763 لانهاء الحرب في أوروبا، والتي بمقتضاها تنازلت على كل أراضيها في كندا لإنجلترا، والأراضي الواقعة على الضفة الشرقية لنهر المسيسيبي وأراضي لوزيانا لحليفة إنجلترا إسبانيا مقابل خسارة هذه الأخيرة لفلوريدا. كما تنازلت فرنسا عن بعض جزر الأنتيل وعن محطاتها التجارية في السنغال، فيما احتفظت بخمس قواعد فقط شرط ألا تحصنها عسكريا، وبذلك تم القضاء على الوجود الفرنسي في أمريكا. لكن فرنسا لم تعتبر خسارتها كبيرة آنذاك لأنها لم تكن تجد في تلك المناطق أهمية مميزة لتفضيلها المناطق المدارية، حيث تجد منتوجات زراعية تحتاج إليها[3]. كما ركزت على إحتلال القارة الإفريقية بدء بالجزائر.

3/ على الصعيد الإقتصادي:

كان للطبقة البرجوازية الوزن الثقيل في تنشيط الإقتصاد الأوروبي في الفترة الحديثة، والتي وضعت نصب عينيها التجارة التي قادتها إلى حركة الكشوف الجغرافية أولا ثم الحركة الإستعمارية ثانيا، حيث تم إكتشاف الطريق المؤدي إلى شرق آسيا واكتشاف أمريكا وإفريقيا في مرحلة الكشوف الجغرافية. وبعد رحلات هنري الملاح وبارثولوميو دياز في القارة الإفريقية، وبعدما رأت كل من إسبانيا والبرتغال خيراتها أرسلت الحملات الاستعمارية لاحتلال واستيطان تلك المناطق، واستعملت فيها سياسة إقتصادية تتمثل في استعمال أسلوب

---

[1] هو لويس الرابع عشر ملك فرنسا لمدة 72 عاما من 1643 إلى 1715م، أصبح ملكا وهو بعمر الخمس سنوات. يرجع إليه الفضل في بناء قصر فرساي والحدائق الرائعة قرب باريس أين استقر هناك في 1672م. لقب بملك الشمس في ذلك العهد، حيث اعتبر بلاطه أحد ألمع البلاطات في أوروبا. ينظر:

Alexander Rosie, Miles Kate, Royston Angela, Op cit, p. 258.

[2] محمد الصالح حوتية: **تكوين الدول والأمريكيتين (898هـ- 1233هـ) (1492م- 1914م)**، جامعة أدرار، ص 62.

[3] نفسه، ص ص 64- 66.

النهب والسلب والإستنزاف، الذي لم يقتصر على الثروات الطبيعية بل تعدى ذلك إلى استغلال الثروة البشرية أيضا؛ فقد تحولت إفريقيا إلى مزرعة لإصطياد السود وبيعهم في أوروبا وأمريكا[1].

وتبين حركة الكشوف الجغرافية مدى أهمية المواد الخام اللازمة في الجانب الصناعي في الدول الأوروبية وإستثمار رؤوس الأموال فيها، ومن هنا أصبحت المناطق المكتشفة محل أطماع تلك الدول وأصبحت مصدر هام للمواد الخام، فباشرت دول أوروبا الغربية تنظيم حملات عسكرية من أجل إخضاع تلك المناطق بالقوة.

كما نجد أيضا أن تأثير حركة الكشوف الجغرافية تمثل في انتقال التجارة من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي فقبل ذلك كانت الدولة الإسلامية تعتبر وسيطا بين الصين والهند من جهة، ودول أوروبا من جهة أخرى، وذلك من خلال دولة المماليك المتماسكة الأطراف، التي كانت تجني من ورائها ثروات من خلال فرض الضرائب على هذه التجارة إلا أنه بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وطريق الأطلسي، فقدت الدولة الإسلامية الفائدة وأصابها الفقر[2].

إن الكشف الجغرافي للقارة الأمريكية أدى إلى وجوب إستعمار جل القارة لأن المناجم كانت أسمى ما تطمع إليه الدول الأوروبية، وأدى هذا الكشف إلى تدفق المعادن النفيسة إلى غرب أوروبا خاصة على يد الإسبان والبرتغاليين والهولنديين والإنجليز. وكان الذهب والفضة يعتبران الثروة الحقيقية في الدول القومية الحديثة على أنهما أساس القوة الاقتصادية، وأن الدولة التي تستطيع أن تجلب أو تخزن أكبر كمية في خزينتها تصبح أقوى دولة، لذلك نجد أن سياسة الإستعمار التي تولدت عن حركة الكشوف الجغرافية قائمة على:

- الإهتمام بالغزو الإستعماري لاحتكار التجارة.
- الإهتمام باستغلال المناجم.
- توفير الأسطول التجاري لخدمة السياسة الاقتصادية.
- إدماج المستعمرات في السوق العالمية بعد أن فرض الإستعمار عليها الإقتصاد التجاري.

أدت هذه السياسة إلى نمو طبقة من التجار في هذه البلدان المستعمرة المتحالفة مع مصالح الدول الأجنبية التجارية، وتطلعت هذه الطبقة إلى القوة والنفوذ السياسي[3].

كما نجد أيضا من النتائج، تحكّم الشركات الأوروبية على الساحل الأطلنطي في قارة إفريقيا- غير الصالح لسكنى الأوروبيين- عبر المحطات التجارية المنشئة هناك بعد توصية الرحالة بذلك، كما اعتمد الأوروبيون في

---

[1] رمضان، المرجع السابق، ص 194.

[2] سليمان نوار- محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 79.

[3] رمضان، المرجع السابق، ص ص 191- 194.

الشمال الإفريقي على جالياتهم، وبفضل علاقة تلك الجاليات بالرحالة تحوّلت مسارات التجارة من الصحراء الكبرى إلى المحيط الأطلنطي.

4/ على الصعيد الإجتماعي:

إن المتعارف عليه لدى المؤرخين أن من نتائج الكشوف الجغرافية التأثير الكبير على الحركة الإستعمارية وإعطائها دفعة قوية نحو الأمام، ففي المجال الإجتماعي نجد أن التفرقة العنصرية التي أوجدتها الحركة الكشفية، ثم طبقتها الحركة الإستعمارية تعتمد على سيادة الجنس الأبيض على غيره وأن عنصر السود وجد لخدمتهم.

إن الملاحظ كذلك لموضوع الكشوف الجغرافية والحركة الإستعمارية يدرك أنهما وجهان لعملة واحدة، وأن الأول يكمل الآخر بحيث نجد أن الكشوف غيرت أهالي المناطق المستكشفة ما تولد نشأة طبقة من التجار استغلتهم الدول الأوروبية الإستعمارية فيما بعد، فازدادت ثرواتهم وأدخلوها في خزينة دولهم، فتغيرت بذلك الحياة الإجتماعية من نظامها القبلي إلى حياة المدن والمراكز التجارية[1].

ولقد ترتب عن اكتشاف الأمريكيتين حملات عسكرية أوروبية، وهجرات انتقلت من أوروبا قاصدة المناطق الساحلية للقارة الأمريكية الجنوبية والجهات المعتدلة وذلك لطيب العيش فيها، حيث قامت الدول الإستعمارية بحركة التفريغ السكاني؛ إذ انتقل من أوروبا أعداد هائلة إستقرت في العالم الجديد، واختلطت هذه الجماعات المهاجرة مع السكان الأصليين من الهنود الحمر. كما نقلت تلك الدول من إفريقيا حوالي 40 مليون نسمة من السود إلى الأرض الأمريكية[2].

ومن زاوية أخرى، ترتب عن حركة الكشوف أيضا انتقال اللغات الأوروبية، بالإضافة إلى الديانة المسيحية بمذاهبها المختلفة إلى المناطق الجديدة؛ فالثقافة الإنجليزية سادت في أمريكا الشمالية في حين سادت الثقافة الإسبانية في بقية أمريكا الوسطى والجنوبية، باستثناء البرازيل التي كانت مستعمرة برتغالية. وكذلك الحال نجده في القارة الإفريقية والآسيوية اللتان تأثرتا بالثقافة الأوروبية.

5/ على الصعيد العلمي:

أسفرت حركة الكشوف الجغرافية عن نتائج عديدة على الصعيد العلمي، كان لها آثار بالغة الأهمية على حياة أوروبا والعالم، فقد ساعد الاتصال بين أوروبا والعالم الجديد على تقدُّم المعارف والعلوم؛ إذ فتحت الكشوف آفاقا واسعة أمام العلماء لمزيد من البحث العلمي، وترتب على ذلك تعديل كثير من النظريات التي

---

[1] رمضان، المرجع السابق، ص ص 80- 81.

[2] طريح شرف، المرجع السابق، ص 308.

سادت في أوروبا في العصور الوسطى، وظهور نظريات جديدة تدعو إلى حرية البحث، واستخدام المنهج العلمي القائم على التجربة.

ناهيك عن ذلك، أدت الإكتشافات العلمية وتطور البحث العلمي خاصة في المجال الصحي والطبي إلى نمو ديمغرافي، وإلى علاج الأمراض التي كانت تعيق تحرك البعثات الإستكشافية في إفريقيا كالملاريا... هذه العوامل وغيرها كتجارة الرقيق... دفعت الحكومات ورجال الأعمال الأوروبيين إلى التفكير في البحث عن مستعمرات تكون حلا لجميع هذه المشاكل، فضلا عن التي كانت تتعلق بالمستعمرات نفسها والأوضاع التي كانت تعيشها (قابلية الإستعمار).

6/ على الصعيد الديني:

قويت فكرة التعصب الديني والروح الصليبية بإسبانيا عام 1469م عندما تزوج فرديناند حاكم أراغون من إيزابيلا حاكمة قشتالة، وكان ذلك بمثابة مولد دولة إسبانيا المتحدة في التاريخ الحديث، وبدءا فعلا سياسة الإضطهاد الديني والقضاء على كل فرد لا يدين بالمذهب الكاثوليكي، وكانت أولى الأعمال التي قاما بها هي الإستيلاء على آخر معاقل المسلمين في شبه جزيرة إيبريا وهي غرناطة، ثم راودتهم آمال محاصرة الإسلام عن طريق البحر والقضاء عليه، فازدادوا تمسحا وشراسة في مطاردة المسلمين خارجا بنقل نشاطهم إلى شمال إفريقيا وغربها، فالبرتغال على سبيل المثال جعلت شعارها في هذه المرحلة ضرب قوة المسلمين في غرب أفريقيا وشواطئ الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط. وقد حازت حركة الكشوف على اهتمام بالغ من قبل البابوية، حيث أظهر الباباوات اهتماما كبيرا بها، حيث أصدر بعضهم عدة مراسيم تخول لملوك إسبانيا والبرتغال الحق في ملكية كل إقليم جديد ووصفوا الإسلام بالطاعون، وطالبوا ببذل الجهود لتنصير سكان المناطق التي اكتشفت والحيلولة بينهم وبين دخولهم الإسلام، بالإضافة إلى أن الباباوات كانوا يعدون المشتركين في الرحلات الكشفية بالعفو عند الحساب في اليوم الآخر. ولقد أرسل البابا نيقولا 05 (1397- 1455)م في عام 1454م مرسوما إلى ملك البرتغال شمل على ما أطلق عليه خطة الهند، وهي تقوم على تأسيس حملة صليبية نهائية تشنها أوروبا الكاثوليكية للقضاء نهائيا على الإسلام.

كما نجد أنه بعد الكشوف تم إدخال عدد كبير من سكان المستعمرات إلى المسيحية، وكان من دوافعهم إلى هذا الحقد الكبير الذي يكنه المسيحيون للمسلمين، فقد كانت الحملات تخرج من أوروبا ومعها منصرون يعملون على إدخال أهل المستعمرات إلى المسيحية، حيث نجحت محاولاتهم خاصة في إفريقيا[1].

[1] رمضان، المرجع السابق، ص ص 80- 81.

مجمل القول أن تأثير الكشوف الجغرافية على الحركة الإستعمارية كان تأثيرا مباشرا، حيث كانت عبارة عن مرحلة تمهيدية للحركة الإستعمارية خاصة في الفترة الحديثة.

أهم المصادر والمراجع:

1- اسماعيل العربي: تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

2- جون دونلي فيج: تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982.

3- عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، 1998.

4- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، الاسكندرية، 1999.

5- عبد العزيز طريح شرف: الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1993.

6- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1992.

7- عيسى علي إبراهيم: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجغرافية، الإسكندرية، 2000.

8- مايكل هارت :الخالدون المائة، المكتبة المصرية الحديثة، القاهرة.

9- محمد محمود النيرب: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ج 1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة- مصر، ط 1، 1997.

10- محمد الصالح حوتية: تكوين الدول والأمريكيتين (898هـ- 1233هـ) (1492م- 1914م)، جامعة أدرار.

11- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 1، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

12- ميلاد المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث، دار الكتاب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط 1، 1996.

13- Alexander Rosie, Miles Kate, Royston Angela, Encyclopédie Questions-Réponses, Réalisation: Miles Kelly Publishing Ltd, Edition NATHAN, Paris, Décembre 2008.

الدرس العاشر: حركة الاصلاح الديني: الجذور التاريخية

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم

أولا: أهم عوامل قيام الإصلاح الديني

1- التدهور الذي أصاب البابوية ورجال الدين في روما

2- انتشار روح النقد والتحرر الفكري

3- رغبة حكام ألمانيا في التخلص من سيطرة كنيسة روما

4- مساهمة النهضة الأوروبية

5- صكوك الغفران

ملخص:

يتناول هذا الدرس حركة الإصلاح الديني خاصة في القرن السادس عشر، وجذوره التاريخية في أوروبا خلال القرون الوسطى، والعوامل التي أدت إلى ظهوره وأثرت بشكل كبير على الكنيسة الكاثوليكية وسيطرتها على أوروبا؛ من تدهور للبابوية ورجال الدين في روما بفعل الفساد والصراعات بينهم، ثم انتشار روح النقد والتحرر الفكري وانتفاضات الحكام الألمان ضد سلطات الكنيسة، وصولا إلى مساهمة النهضة الأوروبية في إشعال هذه الحركة، وأثر إصدار صكوك الغفران التي كانت مثار جدل كبير.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

شهدت أوروبا في العصور الوسطى فترة انحطاط أثرت في شتى المجالات وخاصة على المجال الديني، فقد شهدت سيطرة الكنيسة التي قيدت العقول وهيمنت على الناس بحجة الدين. لكن مع أواخر القرن الخامس عشر تغيرت معالم الدين نظرا لقيام حركة النهضة، والتي من أهم نتائجها قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا ثم انتقلت إلى باقي دول أوروبا (1517- 1618)م.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح إشكالية ظهور وعوامل قيام حركة الإصلاح الديني؟

أولا: أهم عوامل قيام الإصلاح الديني

1- التدهور الذي أصاب البابوية ورجال الدين في روما:

لقد حدث انشقاق بين رجال الدين في روما ترتب عليه أن وجد في بعض الأحيان على رأس العالم المسيحي الغربي ثلاثة بابوات (في مدينة أفينون الفرنسية وروما وبيزا الإيطالية) يتنازعون على زعامة العالم المسيحي، ويطعن كل منعهم في صلاحية الآخر لتولي كرسي البابوية.

أدى هذا بالطبع إلى أن فقدت البابوية هيبتها، واهتزت مكانتها في نظر المسيحيين، هذا بالإضافة إلى ما وصل إليه كبار رجال الدين من تكالب على الإثراء، والبعد عن التضحية وحياة التقشف، فانهمكوا في الملذات وحياة البزخ والترف بل والمجون والفسق، ثم زجوا بأنفسهم في غمار الحياة السياسية فشاعت في المجتمع البابوي في روما وسائل التآمر والغدر والإغتيال بالسم، وإثارة الحروب لتحقيق أغراض دنيوية[1].

وبطبيعة الحال، كان للكنيسة السيطرة على حياة الناس وعقولهم لفترة طويلة من الزمن، حيث مارست القمع وأساليبه الوحشية تجاه أي رأي لا ينطبق مع آرائها وميولها، كما حاربت الكنيسة أطروحات المفكرين الأحرار الذين وصفتهم بالإلحاد والمروق، وقضت على عدد كبير منهم عن طريق محاكم التفتيش. وفي الوقت نفسه كان العديد من رجالات الكنيسة يعيشون حياة بعيدة عن المسيحية الأولى وتحولوا إلى إقطاعيين يمتلكون مساحات واسعة من الأراضي. كما كانت الكنيسة حريصة على تفسير الدين بما يخدم مصالحها ولذلك منعت الناس من قراءة الكتاب المقدس دون إشراف رجال الدين حتى لا تفسر نصوصه بصورة لا تخدم مصالحها، وساعدها في ذلك حقيقة أن رجال الدين كانوا يمثلون الفئة المتعلمة الوحيدة تقريبا في ذلك الوقت[2].

ناهيك عن ذلك، تحولت الكنيسة الكاثوليكية إلى قوة سياسية، وفيها البابا الزعيم الروحي المسيحي، ونشرت الكنيسة أفكار ربطت الإنسان بها وبالقناعة في الحياة الدنيا، وأن الإنسان مذنب على الدوام ولا يستطيع التكفير عن ذنوبه إلا عن طريق رجالات الكنيسة من خلال صكوك الغفران[3]، وبهذا فقدت الكنيسة مكانتها وهيبتها في نظر الناس، ووجهت انتقادات لها وازدادت المطالب بضرورة الإصلاح[4].

ظهر مصلحون نادوا بأن على الكنيسة ورجال الدين أن يصلحوا أنفسهم، ونذكر على سبيل المثال حنا ويكلف (Jean Wyeliff) الإنجليزي (1328- 1383)م الذي درس في جامعة أكسفورد، وشغف

---

[1] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 43- 44.

[2] سليمان نوار- محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 56.

[3] أنظر ملحق الوثائق رقم (1): نموذج من صكوك الغفران.

[4] مفدي الزيدي: **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط 1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2004م، ص 419.

بالدراسات الدينية، وقام يدعو إلى أن رجال الدين يجب أن ينصرفوا إلى واجبهم الأساسي، وهو العمل على إعلاء كلمة الله وأن اتجاههم إلى جمع الثروات الكبيرة إنحراف يؤدي إلى إقفار خزانة الدولة، وهاجم حياة الرهبنة واعتبرها استكانة لحياة الكسل والهدوء، وأن تدخل رجال الدين في حياة الناس الخاصة، بادعائهم أنهم حلقة وصل بين الإنسان وخالقه أمر يتنافى مع الدين الصحيح.

كذلك ظهر حنا هس (Jean Huss) التشيكي (1370- 1415)م الذي كتب عدة مقالات ندد فيها بالحياة الماجنة التي يعيشها رجال الدين، وهاجم صكوك الغفران، وقال إن أوامر البابا إذا تعارضت مع ما جاء في الكتاب المقدس فليس هناك ما يلزم باتباعها، وقد أصدر البابا قرارا بحرمان هس، وعقد مجلسا مسكونيا في مدينة كونستانس (Constance) في عام 1414م، ودعا هس لحضور جلساته للدفاع عن نفسه لكنه لم يكد يذهب إلى مقر المجلس حتى قبض عليه وصدر قرار المجمع بإعدامه حرقا، ونفذ فيه الحكم في 6 جويلية 1415م، وكان تنفيذ الحكم بمثابة الشرارة التي أثارت حركة عنيفة ترتب عنها قيام حرب طاحنة بين البوهميين وقوات البابوية استمرت 12 سنة، وانتهت بانتصار البوهميين مما هز مركز البابوية[1].

2- انتشار روح النقد والتحرر الفكري:

لقد أدى تحرر الكتاب والمفكرون من القيود التي فرضتها الكنيسة على العقول وعلى الكتابة والخطابة، لكشف النقاب عن فضائح رجال الدين، وظهرت للعيان الانحرافات الدينية التي أذاعوها، وانبرى عدد من رواد الفكر لإظهار كل هذه النقائص، وتصدت البابوية لهذه الحركة الإصلاحية، وهاجمت دعاة الإصلاح ووصفتهم بالزندقة والكفر وأدى هذا لصراع مرير[2].

3- رغبة حكام ألمانيا في التخلص من سيطرة كنيسة روما:

كانت ألمانيا منقسمة إلى عدة وحدات سياسية تجاوزت 350 وحدة، وكان حكام هذه الوحدات يرون أن سلطان البابا يحد من حريتهم واستقلالهم، كما حاول رجال الدين الألمان الخضوع لسلطات حكومتهم بدلا من البابوية. وكانت كذلك أراضي كثيرة في الأقاليم الألمانية تابعة للكنيسة، وتخضع للبابوية فرأى حكام ألمانيا أن تخلصهم من هذا الخضوع يعني أن يمتد سلطانهم إلى هذه الأراضي الشاسعة فلا تتسرب الأموال الألمانية إلى روما[3].

4- مساهمة النهضة الأوروبية:

---

[1] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 43- 44.

[2] نفسه، ص ص 44- 45.

[3] نفسه، ص ص 45- 46.

أدت أفكار النهضة وإبداع أعلامها وقاداتها من بعث للتراث الكلاسيكي، والتقدم العلمي الجارف، والحركة الإنسانية، واختراع الطباعة إلى فتح أبواب واسعة للناس والمتطلعين نحو حياة جديدة بعيدا عن القيود وسيطرة الكنيسة. كما كانت الاستكشافات الجغرافية ونتائجها العلمية دور في بطلان الكثير من آراء الكنيسة. وكان **لظهور الحكومات الملكية القومية** دافعا مهما في نهضة الإصلاح الديني؛ إذ أخذ المجتمع الأوروبي يتطلع إلى إقامة كنائس قومية بعيدة عن سيطرة السلطة البابوية، كما أن الناس طالبوا **باستبدال اللغة اللاتينية بلغتهم القومية** في إجراء الطقوس الدينية التي ما كان يفهمها إلا فئة من المثقفين ورجال الدين، وقد تجلى ذلك بوضوح في قيام رواد الإصلاح بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية، وتأليف التراتيل الدينية بهذه اللغات. وكانت البابوية تدرك المخاطر الناجمة عن تنامي الشعور القومي ومحاولات إقامة الحكومات الملكية القومية، لذلك وقفت بكل إمكانياتها ضد هذه التوجهات. ومن هنا حاولت فرض هيمنتها السياسية وإخضاع السلطة الدينية لها فدخلت في صراع مرير مع الإمبراطورية وأبدت نشاطا دبلوماسيا واسعا. إلا أن سياستها هذه واجهت ردود أفعال قوية من قبل الملكيات القومية في بلدان أوروبا الغربية، كما أن الإدعاءات البابوية حول السلطة السياسية أثارت نقمة البرجوازية في هاته البلدان.

5- صكوك الغفران:

كانت هذه هي السبب المباشر للحركة الثورية التي قام بها مارتن لوثر (Martin Luther)[1]، وقد نشأت فكرة هذه الصكوك عن فكرة دينية اتبعها رجال الدين وروجوا لها، مؤداها أن الإنسان إذا ارتكب خطيئة وندم على ارتكابه لها وتاب عنها ثم اعترف بها أمام رجال الدين، فإنه لا يدخل الجنة مباشرة لكنه يظل فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر ليتطهر تماما من ذنوبه، كما أشاع رجال الكنيسة أن العذاب الذي يلقاه المذنب التائب في أثناء وجوده في المطهر يمكن التطهر منه بالحج إلى بعض كنائس روما والصلاة فيها ثم زيارة قبور الرسل، وتطورت فكرة تخفيف عذاب المطهر، فأجاز رجال الكنيسة تقديم الهبات المالية للكنيسة لشراء ما أطلق عليه اسم (صكوك الغفران) بدلا من تحمل مشقة الحج إلى روما.

تطور أمر هذه الصكوك واتسع نطاقها؛ إذ أخذ بابوات روما يرسلون مندوبين عنهم إلى مختلف أقاليم أوروبا لبيع صكوك الغفران، ووجدت البابوية في هذه الصكوك موردا ماليا غزيرا سهل المنال لا ينضب معينه، وزاد إقبال الناس على شراء هذه الصكوك كل حسب مقدرته المالية فتوسعت عمليات توزيع الصكوك بل زعموا أن أثرها يمتد إلى الموتى، وأن في إمكان أي إنسان حي له عزيز احتواه القبر أن يشتري نيابة عنه صكوك

[1] أنظر ملحق الصور رقم (5): مارتن لوثر (1483- 1546)م.

الغفران وغير ذلك ليغفر الله لهذا الميت ذنوبه. وأصبحت هذه الصكوك تباع بالجملة بل ومقدما لغفران جميع الخطايا سواء التي ارتكبها الإنسان في ماضيه أو التي سوف يرتكبها في مستقبله، فأصبحت تحريضا سافرا على الإنغماس في الخطايا طالما أن مرتكبها سيكون بمنجاة من عذاب الآخرة.

وتطورت الأمور في هذا الشأن حتى أن البابوات أصبحوا يعهدون لبعض المصارف المالية في ألمانيا ببيع هذه الصكوك لعملاء البنك، فأصبحت عملية مصرفية هدفها الأول والأخير حصول الكنيسة على أموال ضخمة تحت ستار ديني مصطنع هو الغفران، التي صورت على أنها بمثابة تذاكر تبيح لحاملها فرصة دخول الجنة.

وقد برر بعض المؤرخين الأوروبيين هذا التصرف من البابوية بأنها كانت في حاجة ماسة للمال لإعادة بناء كنيسة القديس بطرس في روما، وأن هذا هو الدافع لهذا التهافت العجيب على تشجيع عمليات بيع صكوك الغفران بمختلف الوسائل. وقد كان بيع صكوك الغفران مثار سخط عميق عند كثير من المفكرين الأحرار فاندفع عدد كبير منهم يستهجنون الفكرة من أساسها.

ولما وقف مارتن لوثر وقفته الشجاعة ضد هذا العمل على أحد الرهبان الذين كانوا يعملون بدأب لترويج عملية بيع صكوك الغفران، بدأت الحركة الإصلاحية في ألمانيا ضد كنيسة روما[1].

كما كانت البابوية تفرض وجهة نظرها على قادة أوروبا بفضل قوتها الاقتصادية، التي كانت بدورها تفرض تأثيرها على القرارات السياسية، وجاء الإصلاح فوضع صلب العقيدة الكاثوليكية موضع المناقشة نفسها[2]. فكيف بدأت هذه الحركة؟ ومن هم أهم روادها؟

أهم المصادر والمراجع:

1- شوقي عطا الله الجمل –عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل- القاهرة، 2000.

2- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999م.

3- مفدي الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2004م.

4- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 43- 44.

[2] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 530.

الدرس الحادي عشر: حركة الاصلاح الديني: الحركة اللوثرية

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم

أولا: أسباب قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا

1- الأسباب غير المباشرة

1-1 الصراع بين طبقات المجتمع الألماني

1-2 الصراع بين الإمبراطورية والبابوية

2- السبب المباشر: مارتن لوثر وبداية الأزمة

ثانيا: امتداد الحركة الإصلاحية خارج ألمانيا

1- في سويسرا

2- في إنجلترا

ملخص:

يتناول هذا الدرس حركة الإصلاح الديني في ألمانيا، ويركز على أسباب نشوء الحركة التي قادها مارتن لوثر الذي كشف عن كثير من المخالفات في رجال الدين، ثم تأثيرها في بلاد أخرى مثل سويسرا وإنجلترا. كما يشرح كيف ساهمت صراعات المجتمع الألماني داخل طبقاته المختلفة، وبين إمبراطوريته مع البابوية وتأثيرها بشكل كبير على توجهات الناس في اندلاع هذه الحركة.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

تعتبر الحركة الدينية التي اشتدت جذوتها في القرن السادس عشر الميلادي أحد أكبر وأبرز معالم التاريخ ولا تزال نتائجها باقية إلى اليوم، تتمثل في المذاهب الجديدة التي أتت بها حركة الإصلاح الديني وفي الإنقسام الديني في أوروبا بل وفي العالم الذي يدين بالمسيحية. ثم ظهور البروتستانتية التي وضعت كثيرا من القيم السياسية، والاقتصادية، والثقافية، التي زعزعت على وجه اليقين، وبصفة عامة أسس الكاثوليكية[1].

[1] **موسوعة الشباب**، مج 5، المرجع السابق، ص 530.

أولا: أسباب قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا

1- الأسباب غير المباشرة:

1-1 الصراع بين طبقات المجتمع الألماني:

هناك جملة من الأسباب تفسر قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا قبل غيرها حيث كان مجتمعها يتكون من الطبقات الآتية:

أ/ طبقة البرجوازيين: كانت هذه الطبقة تعمل على تدعيم مراكزها وحماية نفسها عن طريق اللجوء إلى رجال الدين لمواجهة الأمراء والإمبراطور، ولهذا فقد استغل رجال الدين ذلك في فرض الضرائب والأموال الضخمة على الشعب، ولهذا أثقلت كاهل الشعب بهذه الأعباء[1].

ب/ طبقة الفرسان: كانت ألمانيا تزخر بعدد كبير من الفرسان، وهؤلاء من طبقة النبلاء، فشلوا في تطوير أنفسهم ومواكبة ركب التقدم الذي بدأ يظهر مع بداية النهضة، فقد كان اعتمادهم الأساسي على الأرض في الوقت الذي تضاءلت فيه قيمة الأراضي الزراعية كمصدر أساسي للثروة. كذلك فإنهم لم يستطيعوا مواكبة تطور أساليب الحرب والقتال. وكانت هذه الطبقة قد أخذت تفقد قدرتها في الوقت الذي كانت فيه منزلة الفرد تتوقف على قدر ماله وفكره، ولهذا كانت هذه الطبقة تحقد على الطبقة البرجوازية وتتحين الفرصة لضرب النظم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية المتطورة.

ج/ طبقة الفلاحين: كانت هذه الطبقة حقلا خصبا للنهب من الطبقات الأخرى، في وقت كانت هاته الطبقة تئن من التدهور الإقتصادي الذي حل على الزراعة، فلقد كانت هذه الطبقة المجال الوحيد لطبقة الأمراء لنهبها، ومجالا سهلا لرجال الدين لفرض الرسوم المختلفة، ولم يكن لها أية امتيازات إقتصادية أو اجتماعية، ولهذا فقد وجدت في الإصلاح الديني فرصة لإنقاذ أنفسها مما هم فيه من ظلم وجور.

1-2 الصراع بين الإمبراطورية والبابوية:

كانت هناك رواسب تاريخية في العقلية الألمانية إزاء البابوية؛ فكثيرا ما كانت تنشأ الصراعات بين الكنيسة والإمبراطورية مثل التي نشأت بين إمبراطور ألمانيا هنري الرابع والبابا جريجوري السابع فنشأت لهذه الأسباب كراهية الشعب الألماني لكنيسته.

[1] سليمان نوار- محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 119.

وكانت ألمانيا موطن اختراع الطباعة عن طريق الحروف المتحركة مما ساعد على نشر الكتاب المقدس وانتشاره في ألمانيا، ومنذ ذلك الوقت بدأ الرعايا في قراءته، واكتشفوا ما يروى عليهم من مخالفات ومتناقضات من جانب رجال الدين، فبدأ منذ ذلك الحين الشك يساور العقول في حقيقة رجال الدين[1].

2- السبب المباشر: مارتن لوثر وبداية الأزمة

ولد مارتن لوثر في العاشر من نوفمبر عام 1483م بساكسونيا. وكان طفلا ذكيا يجد متعة في الذهاب إلى المدرسة على الرغم من أنه كان يضرب بالعصا 15 مرة في يوم واحد دونما ذنب جناه. وفي عام 1501م التحق بجامعة أرفورت (Erfurt) للدراسة، حيث حصل على درجة الماجستير بعد أربع سنوات من العمل الشاق. وبعد ذلك بدأ في دراسة القانون، ولكنه فجأة وبعد مرور شهرين، انخرط في جويلية 1505م في سلك رهبنة أغسطيني المتشددة بين ذعر أسرته وأصدقائه. وبعد سنتين تم ترشيحه قسيسا، وبدأ يركز على دراسة اللاهوت، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة فيتنبرغ (Wittenberg) عام 1512م، حيث عين أستاذا للاهوت.

طيلة ذلك العهد كانت الشكوك تقض مجاضع لوثر، وكراهب اجتهد في أن يحيا حياة تقية، ولكن مهما يكن عدد المحاولات التي بذلها، ومهما يكن اعترافه بكثرة خطاياه وتوبته، فإنه كان مع ذلك يشعر دائما بأنه غارق في الخطايا. وبالتدريج انتهى لوثر إلى الإيمان بأن الإنسان شرير بطبيعته إلى درجة أنه لا يوجد ما يمكن أن يطهره، فسبب لذلك له تعاسة لا حد لها، لأنه كان يعتقد أنه لا منجى له ولا منقذ. ولكن ذات يوم عندما كان مستغرقا في التفكير في الرسالة الإنجيلية للقديس بولس إلى الرومانيين (الأخبار الآية 16 و17)، وجد الإجابة على مشكلته عندما قرأ فيها: "إن الأبرار يعيشون بالإيمان"، وقد فسر هذه الفقرة على أنها تعني أنه إذا آمن الإنسان إيمانا كافيا بالرب، فإن الرب قد ينزل عليه رحمته، ومن ثم فقد يذهب إلى الجنة.

أطلق لوثر على هذا التعليم "الخلاص عن طريق الإيمان" وكان معنى ذلك في الحقيقة أن الإيمان وحده هو الفصل، وأن كل ما يفعله الإنسان من خير إنما هو هباء، مادام الأمر يتعلق بخلاصه. ولم يخطر ببال لوثر على الإطلاق أن عقيدته هذه قد تتعارض مع تعاليم الكنيسة، ولم يحدث ذلك إلا مؤخرا، عندما كشف عن مبدئه وتصادم بذلك معها[2].

---

[1] سليمان نوار- محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 120.

[2] محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: **موسوعة المعرفة**، مج 1، مطبعة داغر، لبنان، 1971، ص 144.

حلت الأزمة الكبيرة في عام 1517م، عندما هاجم لوثر عملية بيع الغفران، وقد كان مما تعلمه من الكنيسة أن فضائل المسيح والقديسين اللامحدودة ماهي إلا "صكوك للغفران"، وأن المؤمنين يمكن أن يسحبوا منها على الأرض. وكان الغفران أو العفو هو استخدام المذنب بعضا من هذه الفضائل لكيلا يحتاج إلى أداء الكفارات الشديدة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومع ذلك فكلما زاد فساد الكنيسة، أسيء نظام بيع الغفران لأنه كان موردا كبيرا للنقود. وهكذا ففي عصر لوثر كان الناس يعتقدون أنهم يشترون الغفران عن خطاياهم، وبالتالي يقصرون من أمد المدة عليهم، التي عليهم أن يقضوها في المطهر قبل أن يصلوا إلى الجنة.

وبالقرب من مدينة بوتنبرغ كان ثمة خطيب موهوب يدعى "تتزل" يبيع الغفران وينتزع مبالغ كبيرة من النقود من الفقراء. ورأى لوثر أن ذلك عمل كريه للغاية، وفي شهر أكتوبر علق على باب كنيسة القلعة إعلانا يتضمن 95[1] رأيا للمناقشة، وفيها أدان عملية بيع الغفران. وقد أحدث ذلك ضجة بلغ من ضخامتها أن اضطر البابا إلى التدخل، وحينئذ أعلن لوثر على الملأ إنكاره للقوة الروحية للبابا، وأعقب ذلك أيضا إنكاره أيضا للمجتمع الكنسي معلنا أن الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد، وطالب البابا أن يعترف لوثر علانية بخطئه أو أن يسحب ملاحظاته، فرفض لوثر فتم حرمانه كنسيا بسبب انشقاقه.

وعندما طلب منه الإمبراطور شارل الخامس عام 1521م مرة أخرى أن يعترف بخطئه، كان رد لوثر: "أنا لا أستطيع ولا أريد أن أعترف بأي خطأ، إذ أنه ليس من المأمون ولا من الصواب أن نخالف ضمائرنا، هذا هو موقفي ولا أستطيع أن أفعل شيئا مخالفا، فليساعدني الله، آمين".

وفي عام 1521م كانت القطيعة كاملة بين لوثر والكنيسة، وذلك حينما طور تعاليمه الدينية الجديدة في ثلاثة كتب هامة... وقد علم أن الإنسان ليس بحاجة إلى البابا أو القساوسة، مادام أنه ينجي من الخطيئة بحصوله على الغفران رأسا من الرب، وأن وظيفة الإكليروس "رجال الدين" ليست إلا التنصير ومملكة الرب والخلاص. ومن المقدسات السبع احتفظ فقط بالعماد والعشاء الرباني لكونهما من تعاليم المسيح، واستبعد تعاليم الرهبنة والحج وغيرهما من العادات الكاثوليكية مثل قداس الموتى، وأن يكون رجل الإكليروس أعزب. وبعد أن لفظته الكنيسة عاد لوثر إلى فاتبورغ (Wartburg) حيث عكف على ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الألمانية، ليتسنى لكل شخص قراءته بصفته المرجع الوحيد.

[1] ملحق الوثائق رقم (2): وثيقة "التعليقات الـ 95" التي علقها لوثر على باب كنيسة فيتنبرغ بألمانيا.

اعترفت ولايات ألمانية كثيرة بأن الحق كان من جانب لوثر، وأن الكنيسة كانت مخطئة، وما لبثت تعاليمه الدينية أن عمت ألمانيا، وعندما توفي في مدينة أيسليبن (ألمانيا) في فيفري 1546م كانت البروتستانتية قد سادت في أغلب الجزء الشمالي من الإمبراطورية[1].

ثانيا: امتداد الحركة الإصلاحية خارج ألمانيا

1- في سويسرا:

ظلت سويسرا تعاني من تدخل الدول الأوروبية المجاورة في شؤونها الداخلية، واستخدام السويسريين كمرتزقة في جيوش أوروبية متحالفة، وأدركت بعض القوى السويسرية الأخطار الناتجة عن هاته الظاهرة، وتعرقل هدفها في إقامة دولة مركزية موحدة، ولذلك استقبلت هذه القوى حركة الإصلاح الديني بالقبول، وحاولت أن تستخدمها كوسيلة نحو بعث سويسرا من أجل أن تكون قوة سياسية[2]. وتزعم الإصلاح الديني في سويسرا "أولريخ زوينكلي" وهو من أسرة فلاحية مرموقة (ولد في 1484م وتوفي في 1531م) وحصل نتيجة لظروفه الجيدة على ثقافة متميزة، ودرس في جامعة فيينا وأجاد اليونانية واللاتينية، واعتنق الفكر الإنساني بفضل علاقته مع أرازموس الروتردامي.

دعا زوينكلي إلى نقاء المسيحية من الشوائب التي علقت في العصور الوسطى، وانفصل عن الكنيسة عام 1519م ونشر أفكاره الإصلاحية عام 1522م في 67 مادة، وفسر النصوص الدينية عن طريق العقل أفضل من لوثر، وأعطى رعاياه في الكنيسة نوعا من الديمقراطية في انتخاب زعمائها وعقد المناقشات والمؤتمرات.

وكانت زيوريخ مركز الحركة الزوينكيلية فانتشرت في المدن السويسرية الأخرى، ودعمت المقاطعات الحضارية، ووقفت الريفية إلى جانب البابوية والإمبراطور ضد الحركة الزوينكيلية مما أدى إلى صراعات بين الطرفين (الحضر والريف)، وأسهم زوينكلي شخصيا في المعارك وقتل في معركة عام 1531م، وبذلك فقدت حركة الإصلاح السويسري بمقتله رائدا ونصيرا لها، وأخذت جنيف تحل محل زيوريخ، وارتبطت باسم جان كالفن[3] (1509-1564)م الفرنسي الذي درس في جامعة باريس، وأجاد اللغات القديمة والتاريخ اللاهوتي، وتحول إلى البروتستانتية متأثرا بأفكار لوثر، وعندما واجه أتباعه الإضطهاد هرب إلى ألمانيا ثم إلى بازل السويسرية، ثم إلى جنيف وتزعم حركة الإصلاح الديني فيها[4].

---

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، ص 144.

[2] عبد العزيز محمد الشناوي: **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**، ج 1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط3، 1977، ص 461.

[3] أنظر ملحق الصور رقم (6): جان كالفن (1509- 1564)م.

[4] الزبيدي، المرجع السابق، ص ص 428- 429.

وضع كالفن أفكاره عام 1536م في كتابه: "تنظيمات العقيدة المسيحية" وانتشر بين البروتستانت (Protestant)، وهو باللاتينية وترجم إلى لغات أوروبية أخرى، ورفض فكرة الكنيسة الخاصة لكنه أجبر عليها فيما بعد بسبب الإصلاح الكاثوليكي المضاد، والنزعة الثورية بين أنصار الإصلاح الديني. وانطلق كالفن من فكرة أن الإخلاص يتم عبر الإيمان وأن على الإنسان أن يدرك أنه مختار أساسا.

ترأس كالفن الحزب البروتستانتي في جنيف وكنيستها، وخضع لها المجلس المحلي في المدينة، وفرض الزهد على الناس ومنع البذخ والإحتفالات والرقص والموسيقى، وأقام أكاديمية بروتستانتية انطلق منها المبشرون إلى أوروبا، وعدت جنيف بمثابة بابوية البروتستانت.

كما اهتم كالفن بالعمل ورفض السلبية اتجاه الدنيا، ودعا للنشاط الخلاق وعارض الترف، ودعا إلى التقشف، وتقليص عطل الأعياد، وتنظيم الإقتصاد الأسري ومكافحة روح الإستهلاك، وأكد على أهمية النواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية بدعمها لحركة الإصلاح وحقق ذلك في جنيف، وأن السلطة أداة لخدمة المؤمنين والحفاظ على المسيحية. وأصبحت الكالفينية مذهبا دينيا عالميا وانتشرت في أوروبا وخاصة في الأراضي المنخفضة وفرنسا، وسمي أتباعها "هيكونوت"، وحاولت الكنيسة الكاثوليكية احتواء البروتستانتية أو الحد منها، وعرف ذلك بحركة الإصلاح الكاثوليكي المضاد[1].

2- في إنجلترا:

وقفت الملكية ضد الإصلاح ثم تبنته، حتى أن هنري الثامن قاد الإصلاح في إنجلترا، وأرسل إلى البابا عام 1521م كتابا بهذا الخصوص، واقتنع حكام البلاد بأن الإصلاح في الكنيسة مهم لتعزيز الملكية، ولذلك تميز الإصلاح في إنجلترا بأن الملكية هي التي قادته عكس حركات الإصلاح الأخرى. ولقد انفصلت الكنيسة الإنجليزية عن البابوية لرفض البابا المواقفة على طلاق هنري من زوجته كاترين الأراغونية، وردا على ذلك قرر البرلمان عام 1534م فصل الكنيسة الإنجليزية عن كنيسة روما، وعد ملك إنجلترا رئيسا أعلى للكنيسة بدلا من البابا، ولكن بقيت الطقوس الكاثوليكية كما هي.

وكانت رغبة النبلاء والسلطة الملكية وراء السبب الحقيقي لانفصال الكنيسة عن روما، محاولة استخدامها كأداة للحكم المطلق وللاستحواذ على ممتلكاتها، ورغبة البرجوازية في إقامة كنيسة لا تكلف موارد باهضة، فقرر البرلمان أن يغلق الأديرة ويصادر ممتلكاتها لصالح الملكية والنبلاء الجدد، وصدرت قوانين خضوع الإنجليز للكنيسة الجديدة؛ وهي الكنيسة الإنجليزية، وأن الموت هو عقوبة الإنجليزي الذي لا يخضع لها، ومنع هنري

[1] إياد علي الهاشمي: **تاريخ أوروبا الحديث**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2010م، ص 83.

الثامن الناس من قراءة الكتاب المقدس بشكل فردي خوفا من المعارضة الشعبية. وأبرز رواد الإصلاح توماس كروميل سكرتير الملك هنري وتوماس كرانمر رئيس أساقفة كنتربري بعد فصل الكنيسة الإنجليزية عن روما.

وبعد وفاة هنري الثامن أصبح ابنه ملكا وهو صغير السن، وأشرف على الحكم مجلس الوصاية يميل إلى البروتستانتية، وتقربت الكنيسة الإنجليزية في ظل حكم إدوارد السادس من البروتستانتية وخاصة الكالفينية.

وبعد وفاة إدوارد أصبحت ماري ثيودور ابنة هنري من كاثرين ملكة على البلاد، وهي كاثوليكية متزمتة وزعيمة الحزب الكاثوليكي في البلاد. تزوجت من فليب الثاني ملك إسبانيا وهو من المتعصبين للكاثوليكية. وقد حاولت ماري التعاون مع النبلاء الكاثوليك (Catholic)- مع الدعم الإسباني لها- أن تعيد الكاثوليكية لإنجلترا، فلاحقت البروتستانت، وأحرقت الآلاف منهم وسميت ماري الدموية.

وبعد تولي إليزابيت ابنة هنري الحكم بدعم من البروتستانت، أقرت البروتستانتية المعتدلة بشكل تام في إنجلترا، وأقر البرلمان عام 1559م من جديد سيادة الملك على الكنيسة.

وجرى عام 1571م تنظيم الكنيسة في 39 بند مزج بين الكالفينية والكاثوليكية، وأصبحت الإنجليزية هي لغة الطقوس الدينية، ومنع التحول من البروتستانتية إلى الكاثوليكية، وعقوبته الخيانة العظمى، ومنع الجزويت (اليسوعيون) من دخول البلاد فترسخت بذلك الإنجليكانية المعتدلة المستقلة في إنجلترا[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- إياد علي الهاشمي: تاريخ أوروبا الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2010م.

2- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999م.

3- عبد العزيز محمد الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ج 1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط3، 1977.

4- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 1، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

5- مفدي الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2004م.

6- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] الزيدي، المرجع السابق، ص ص 430- 431.

الدرس الثاني عشر: الآداب والفنون في عصر النهضة الأوروبية

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم:

أولا: أهم فنون عصر النهضة

1- فن الرسم والتصوير

2- في النحت

3- فن العمارة

4- في الأدب

5- المسرح

ثانيا: فنان عصر النهضة وواقعه

ملخص:

نتناول في هذا الدرس الأدب والفن في عصر النهضة الأوروبية، حيث نستعرض أهم الفنون مثل الرسم والنحت والعمارة بالإضافة للأدب والمسرح. كما نتعرف على فنانين كبار مثل ليوناردو دافنشي وميشيل أنج، وكيف تغيّرت النظرة للفن من التقييد في العصور الوسطى إلى روح جديدة تعبر عن الجمال والحياة، مع إضفاء مفكري هذا العصر على أعمال أكثر إنسانية.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

كان الفنانون الإيطاليون أصحاب الفضل في ابتكار الفن الحديث، فرغم أن الفنون كانت مزدهرة في العصور القديمة، لكن فرضت عليها القيود في العصور الوسطى مما أدى لانحطاطها. فبعد أن كانت الفنون تتجه لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية فحسب، وتتقيد بقيود شديدة؛ تحرر الفنان الإيطالي، فقد نمت في الفنون روح متحررة شغوفة بالمظاهر الطبيعية، وجمال الوجه البشري وإظهار مفاتن و"أجزاء جسم الإنسان". ومن أهم الفنون التي برزت في عصر النهضة.

أولا: أهم فنون عصر النهضة

1- فن الرسم والتصوير:

تميز كثير من الفنانين بنزعة التحرر فأخرجوا صورا تنبض بالحياة، واستخلصوا الأصباغ الزيتية لها.

وممن برز في هذا الفن رافائيل (Rapahael) (1483- 1530)م، وتمثلت عبقريته في صورته عن أسرة المسيح عليه السلام، والعشاء الرباني. ثم ليوناردو دافنشي (L. Devinche) (1452- 1519)م[1]، الذي برع في الموسيقى والهندسة، ومن أشهر صوره صورة الجوكندا (La Jocanda) وهي لسيدة إيطالية من نابلي تدعى موناليزا[2] تزوجت في السادس عشر من عمرها عن كره من أحد الضباط يدعى (Jocande) يكبرها في العمر بعشرين عاما، وقد استطاع الفنان أن يرسم لها صورة ناطقة بدت فيها السيدة تمثل الجمال الوديع، واختار لجلوسها في الصورة مكانا موحشا جلست فيه وحدها على الصخور، التي تشقها مياه غزيرة تنساب إلى عالم المجهول، فكانت الصورة في تكوينها وتركيبها وجمالها معبرة عن مأساتها.

كما برز كذلك ميشيل أنج (M. Ange) (1475- 1564)م وكان أيضا متعدد الثقافة، والبعض يعتبر روفائيل، وليونارد دافنشي، وأنج ثالوث الفن.

2- في النحت: لم يتقيد فنانو عصر النهضة بقيود العصور الوسطى، فأبرزوا مفاتن جسم الإنسان بدون التقيد بالقيود التي كانت مفروضة في العصور الوسطى.

3- فن العمارة: برزت فلورنسا في فن العمارة، ثم البندقية، وروما[3].

كان المجال الفني إذن أبرز مجال اتضحت فيه ثقة إنسان النهضة بقدرته الخلاقة، فقد أسفر ذلك عن ازدهار مجيد للفنون لم يضارعه قط ازدهار مماثل، فلقد حدث تحول في الرسم، والنحت، والعمارة. واستبعدت أشكال القرون الوسطى النمطية والخالية من ملكية الإبتكار، وبرزت مكانها روح جديدة تتسم بالقوة والحيوية.

ولعل أعظم تغير، هو الذي حدث لمكانة الفنان. فلقد كانت القرون الوسطى لا تعتبر الفنان أكثر من مجرد حرفي. وكان موضوعه يمليه عليه وعيه أو راعيه، كما كان اسمه في معظم الأحيان لا يكاد يتذكره أحد. ولكن عصر النهضة مليء بالأسماء العظيمة. فلقد كان المعماريان برونلليسكي (Brunelleschi) وألبرتي (Alberti)، والنحاتون بيزانو (Pisano) ودوناتلو (Donatello) وفيروتشيو (Verrocchio) وجيبرتي (Ghiberti)، والفنانون شيمابويه (Cimabue) وجيوتو (Giotto) وبوتيشيللي (Botticelli) وليوناردو

---

[1] أنظر ملحق الصور رقم (7): ليوناردو دافنشي (1452- 1519)م.

[2] أنظر ملحق الصور رقم (8): لوحة الموناليزا.

[3] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 18.

دافنشي (Leonardo da Vinci) يعملون في فلورنسا وحولها، والتي كانت مركز النهضة المبكرة. وفي روما مركز ازدهار النهضة، كان يعمل فنانون ونحاتون مثل: رافائيل (Raphael) ومايكل أنجلو (Michelangelo)، والمعماريان برامانتي (Bramante) وبرنيني (Bernini).

ولم يحدث قط من قبل أن كان الفنانون على هذا القدر من الحرية، بحيث يدمغون تصميماتهم بطابع شخصياتهم، وبدأوا في اختيار موضوعاتهم بأنفسهم. وتم الاعتراف لأول مرة أن الفنان مختلف عن الآخرين، لا باعتبار مهارته بل "عبقريته"، وأسست أكاديميات مثل أكاديمية لورنزو دي مديتشي الأفلاطونية، وأسهم القادرون بسخاء، ونشأت المدارس من حول الأساتذة الكبار. وكان هناك تبادل مستمر للأفكار، وأصبحت الدقة هي الشيء المثالي. ولم تعد الشخصيات تصور مدثرة في ثياب العصور الوسطى، بل كانت ترسم "عارية من ثيابها"[1].

وكان فنانو عصر النهضة مفتونين بإنجازات اليونان وروما. وأثارت إعادة اكتشاف أعمال المعماري الروماني فتروفيوس (Vitruvius)، المناقشات حول النسب والمنظور. وفي بعض الأحيان، كانت الموضوعات الوثنية والبشرية تحل محل الموضوعات الدينية، كما يتضح في بعض أعمال بوتشيللي، ولكن الفنانين لم يكونوا مقيدين بالأمثلة الكلاسيكية، وذلك لأن النهضة الفنية كانت تتسم بالأصالة والتلقائية، وكانت تستلهم الاستمتاع الصرف بالرقة والانسجام، وبروعة العالم، وجمال الإنسان.

4- في الأدب:

لما كانت النهضة ميلادا جديدا للمعرفة الكلاسيكية، فقد كتب كثير من مؤلفي عصر النهضة تعليقات لاتينية على المؤلفين الكلاسيكيين. ولكن أدب النهضة النمطي يتمثل في لغة الكلام الوطنية، فقد كان أدب العصور الوسطى المبكرة مكتوبا باللاتينية، ولكن روح "عصر النهضة" أدت تدريجا إلى التآليف بالإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، والإنجليزية، والألمانية. وأعظم الأعمال المبكرة بالإيطالية هي "الكوميديا الإلهية" لدانتي (1265- 1321)م، و"الديكامرون" لبوكاشيو (1313- 1375)م. وتمثل "أورلاندو فريورزو" لأريوستو (1474- 1533)م عصر النهضة تمثيلا نمطيا[2].

[1] إبراهيم محمد فؤاد، مج 14، المرجع السابق، ص 2434.

[2] نفسه، ص ص 2434- 2435.

5- المسرح:

يستطيع الشرف أن يمكن الإنسان من تحقيق وجوده أكثر مما يستطيع الذكاء أو الجمال، والواقع أنه لا يكفي أن يكون الإنسان جميلا وذكيا، بل يجب أيضا أن يكون رشيقا، حسن التربية (مهذبا)، شريفا.

ولقد حاول المسرح الفرنسي في القرن السادس عشر أن يعبر عن مختلف أوجه هذا الجمال "الحقيقي"، فالنصوص المسرحية كتبت بشعر موزون ورقيق. وكان الشكل العام لذلك المسرح يخضع لقواعد دقيقة. والشخصيات التي كانت تعرض على المسرح تجمع بين الجمال ومعاني الشرف، وهي تناضل على الدوام للمحافظة على القيم الحقيقية لذاتها. ف "كورنيل" مثلا يعرض أبطاله وهم يواجهون مشاكل عويصة، ويدافعون عن شرفهم ضد إغراء الحب، والطموح، والمال.

والتصرف هنا جميل، والمظهر نبيل: تلك هي الصفات التي كان يتميز بها عصر النهضة (Renaissance).

بناء على ذلك، يعتبر المسرح الفرنسي في القرن السادس عشر مسرحا مصطنعا، فهو يعرض شخصيات مثالية، تبالغ بعض المبالغة في إظهار عواطفها. ومؤلفو الدراما الفرنسيون كانوا ينهجون نهج المسرح القديم، سواء كان بالنسبة للدراما أو المسرحيات الفكاهية أو الدينية أو العالمية. وفي المسرح التراجيدي (المأساوي) الفرنسي لا نجد سوى مواقف درامية خالية من الطابع الفكاهي أو المواقف الملطفة أو على الأقل ذات الطابع الإنساني. وهنا ينسلخ أحد الرجال من قواعد المسرح القديم، وهذا الرجل هو المؤلف البريطاني "وليم شكسبير"[1]، الذي عرض في مسرحياته، شخصيات واقعية بصفاتها ونقائصها. وفي هذا المجال، يعد شكسبير مبتدع المسرح الحديث؛ فالمواقف التي يقدمها ظلت حية حتى اليوم، ويبدو فيها الإنسان كما هو في واقعه وفي نبله[2].

ثانيا: فنان عصر النهضة وواقعه

لم يكن في استطاعة مفكري عصر النهضة أن يتجاهلوا الظواهر السياسية، التي كثيرا ما كانت تؤدي إلى شقاء الإنسان، أكثر مما تؤدي إلى سعادته. وهذا الواقع المؤسف يبرز للعيان الطغيان الاجتماعي الذي كان مبعثه تلك الفروق القائمة بين الأغنياء والفقراء. وقد أدرك بعض الفنانين خطورة هذه المشاكل العميقة التي كانت تحد من الدفعة الإيجابية للنهضة، ولذلك حاولوا التعبير في أعمالهم عن تلك الحقائق. ف "مايكل أنجلو"

[1] أنظر ملحق الصور رقم (9): وليم شكسبير (1564- 1616)م.

[2] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص ص 524- 526.

مثلا، لم يكتف بالتعبير عن الجمال والبهجة في أعماله النحتية، بل إنه أضفى عليها سمات أكثر إنسانية، زاخرة بالعظمة والقوة[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- شوقي عطا الله الجمل- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل -القاهرة، 2000.

2- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 14، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

3- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 528.

الدرس الثالث عشر: المنهج العلمي والاكتشافات العلمية في عصر النهضة الأوروبية

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

تقديم:

أولا: العلم والاستكشاف

ثانيا: التعليم

ثالثا: الطريقة العلمية

رابعا: علم الفلك

خامسا: الفكر السياسي

سادسا: الجمال والمعرفة

ملخص:

يتحدث هذا الدرس عن المنهج العلمي والاكتشافات العلمية في عصر النهضة الأوروبية، بدء بتوضيح كيف أن تقدم العلم كان من أبرز سمات النهضة، وكيف ساهمت خطوات المنهج العلمي من الفرضيات إلى التجارب العلمية في تطور علوم كثيرة مثل دراسة طبيعة الأشياء وعلم الفلك. وأيضاً يتناول الدرس إحياء التعليم الكلاسيكي في أوروبا مع بداية عصر النهضة، وتطور الفكر السياسي على أسس علمية.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

يعتبر التقدم العلمي من أبرز مظاهر النهضة الحديثة، وقد أتاح هذا التقدم المنهج الذي أصبح سائدا في البحث العلمي، وهو ما يطلق عليه (المنهج العلمي في البحث).

ويقوم هذا المنهج على أن الدراسة العلمية لابد أن تمر في مراحل:

1- فرض الفروض.

2- إجراء التجارب لاستبعاد ما يثبت خطأه.

3- محاولة تطبيق النتائج الإيجابية على الحالات المختلفة.

4- ما يثبت صحته منها يصبح أساسا للنظريات العلمية.

والنظرية العلمية تصبح صحيحة طالما لم يثبت عكسها، لكنها على كل حال قابلة للتعديل حسبما يثبت التطبيق صحتها أو عدمه.

وقد تبنى علماء المسلمين في العصور الوسطى هذا المنهج السليم في البحث، وأدى هذا إلى نهضة حقيقية انتهت بهم إلى الوصول لأسس الكثير من العلوم كعلم الجبر والفلك، واختراعات الآلات الدقيقة، وقد درسوا الضوء، والطب، والكيمياء.

ويمثل (الحسن بن الهيثم) الذي ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر (965- 1093)م بالبصرة ونظرياته في الضوء هذا النجاح الذي أحرزه العرب في هذا الميدان[1].

أولا: العلم والاستكشافات

امتد حب استطلاع الطبيعة واستقصائها إلى العلماء، شأنهم في ذلك شأن الفنانين. ويعتبر ليوناردو دافنشي (Leonard de Vinci) المثل الكلاسيكي لتعدد المواهب في عصر النهضة، فهو لم يكتف بدراسة تكوين الجسم الإنساني، بل إنه استقصى عمل القوى الطبيعية. وكان مفتونا بالكيفية التي تعمل بها الأشياء، وكراساته مليئة بالرسوم التخطيطية عن المياه والرياح، بل قد استنبط مشروعا لإقامة سد على نهر فلورنسا، نهر أرنو، وتحويل مجراه، ووضع تصميما لطائرة.

وكان العلماء يتأملون باستمرار في طبيعة الكون والأرض، فأثبت الفلكي البولندي كوبرنيق (Copernicus) (1473- 1543)م أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية، في حين أقرت حسابات رجال مثل توسكانيللي (Toscanelli) الاعتقاد القديم بأن "الأرض كروية". ودار الرحالة فاسكو دي قاما حول رأس الرجاء الصالح، واكتشف كرستوفر كولومبس العالم الجديد. وباختصار فلقد وسع عصر النهضة آفاق العالم.

ثانيا: التعليم

بدأ التعليم الكلاسيكي الذي كان سائدا في معظم أنحاء أوروبا حتى وقت حديث نسبيا في عصر النهضة. ولقد نشأ من الرغبة في تهيئة نظام ملائم لدراسة الأدب الإغريقي والروماني. ولم يكن لدى جامعات القرون الوسطى مكان محدد للتعليم الكلاسيكي، ولكن في عصر النهضة استخدمت إحدى الكليات القديمة في هذا الغرض، وكانت تدرس في هذه الكلية كل وجهة من وجهات العالم القديم. وفي بعض الأحيان، كانت تكرس مدارس بأكملها، مثل مدرسة فيتورينو دا فلتري في مانتوا للدراسات الكلاسيكية. وكانت مناهج عصر

[1] عطا الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 18.

النهضة تخصص للتربية الرياضية عددا من الساعات، يساوي ما يخصص للتنمية الذهبية، فلقد كان يمارس اجتياز الحواجز، والتربية البدنية، وركوب الخيل.

ولقد كان اختراع الطباعة في عام 1440م أحد سبل التقدم العظيم في التاريخ، ففي عصر النهضة، كانت عاملا على سرعة انتشار التعليم. وكانت دار الطباعة آلدس (Aldus) في البندقية، أهم مما عداها في سائر إيطاليا، وانسابت من المطابع أولا، الكتب التي تتناول الأعمال الكلاسيكية، ثم بعد ذلك الكتب التي تناولت شتى المواضيع[1].

ثالثا: الطريقة العلمية

كان الناس قبل عصر النهضة، يأخذون الأشياء كأمور مسلم بها، أما في عصر النهضة فلا يوجد شيء مسلم به، وقد رفض العلماء والمفكرون تقبل أي شيء ما لم تثبت صحته بالتجريب أو الملاحظة أو الاستنتاج أو بالبرهان العقلي. ولقد كانت هذه هي الطريقة الصحيحة التي اتبعها العلماء من بعد، مثل بيكون (Becon)، وجاليليو (Galileo)، ونيوتن (Newton)[2].

ولد بيكون في عام 1561م، وأصبح واحدا من أعظم العلماء الإنجليز. وقد ظل طيلة حياته يحارب الاعتقادات القديمة، التي كانت تستند إلى الاعتبارات الدينية أو الشعرية. كان بيكون من المدافعين عن العلم الحديث، ومناقشة النظريات التي كانت حتى ذلك الوقت مقبولة من الجميع. كما أنه كان أحد الذين اتبعوا الدراسة القياسية، التي تحتل فيها التجربة المركز الرئيسي. وكان يرى أن الطبيعة تحتوي على جميع أسرار الحياة، وأنها محكومة بقوانين رياضية رائعة. ومن هنا، كان اعتباره لمراقبة الطبيعة بهدف القيام بالأبحاث، في المقام الأول.

وقد جاءت في كتابه "آراء ونظريات في تفسير الطبيعة" بعض العبارات التي ظلت محافظة على جدتها، ومنها أنه "لا يمكن تحقيق السيادة على الطبيعة إلا بإطاعتها"[3].

رابعا: علم الفلك

أدت مقتضيات الملاحة، التي أخذت تقتحم البحار على أوسع نطاق، إلى تقدم النظريات الفلكية تقدما عظيما. فكثير من الأجهزة التوجيهية أصبحت تعتمد على نتائج مراقبة النجوم والشمس. ولكن الواقع أن أعظم الخطوات التقدمية في مجال الفلك، يرجع الفضل فيها إلى بعض الفلكيين الذين قاموا بناء على طلب

---

[1] إبراهيم محمد فؤاد، مج 14، المرجع السابق، ص 2434.

[2] نفسه، ص 2435.

[3] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص ص 588- 589.

أمرائهم بعمل طوالع فلكية عن طريق مراقبتهم مواقع النجوم في السماء. ولا شك في أن معظم هؤلاء الفلكيين المنجمين كان تيكو براها (Tycho Brahé) الذي منحه فريديريك الثاني ملك الدانمارك جزيرة بأكملها، وأقام له فيها مرصدا. وكانت المهمة التي كلف بها هي الكشف عن الطالع الفلكي للملك. وهكذا تمكن براها من أن يجلب لمرصده أدق الأجهزة المعروفة في ذلك الوقت. وقد قام بالعديد من الملاحظات على مدار فترة بلغت عشرين سنة. وكان من الذكاء بحيث قام بتدوينها الأمر الذي جعل منها أساسا متينا، استند إليه علماء الفلك أمثال كيبلر (Kepler). وكيبلر هذا عالم ألماني آمن بنظريات كوبرنيق وبراها، وتابع أبحاث أساتذته. وقد ساعدته ملاحظاته الدقيقة التي قدمها براها، مساعدة عظيمة في أبحاثه. وقد وضع هذا العالم العظيم عدة قوانين على درجة كبيرة من الأهمية، تستند على مراقبة مختلف الكواكب، التي تتكون منها المجموعة الشمسية. وقد أدت الأبحاث الفلكية إلى فتح الطريق أمام علوم الطبيعة، والميكانيكا، والرياضيات.

خامسا: الفكر السياسي

أدى اعتقاد رجال عصر النهضة بأن في مقدور الإنسان أن يتحكم في مصيره إلى إعادة التبصر في الماضي، والنظر من جديد في طبيعة السياسة. وأصبحوا يعتقدون أن يد الله ليست هي وحدها التي توجه قدر الإنسان بل ويشترك في ذلك البشر أنفسهم. وعلى ذلك أعاد فيلاني (Villani)، وجويسيارديني (Guicciardini) دراسة تواريخ الدويلات الإيطالية. وعلاوة على ذلك، فكما أن الإنسان يمكنه أن يوجه قدر الدول، فلا بد من وجود قواعد تتحكم في نجاح هذه الدول. وهذه القواعد أدرجها ميكيافيلي (Machiavelli) في كتابه "الأمير"، الذي حاول فيه أن يبرهن على أن السياسة علم، وأنه إذا اتبع الحاكم قواعد معينة، فإنه سيحصل على نتائج معينة[1].

سادسا: الجمال والمعرفة

كان الجمال والمعرفة هما "آلهتا" عصر النهضة، فهما يمثلان وجهي الإنسان: الوجه المادي، والوجه الروحي. وإذا كان العقل لا يقبل القناعة؛ فهو في حاجة للفهم، وللمعرفة، وللعلم، والتعلم. وعالم الإنسان عالم صغير ومحدود. والعقل في حاجة للإنطلاق، ولاكتشاف الطبيعة بأجوائها الواسعة.

وأكثر الأمثلة وضوحا في التدليل على عظمة العقل البشري، هو ليوناردو دافنشي فقد كان عقله متفتحا لمختلف ضروب العلوم والفنون، مما يجعلنا نعتبره أول علماء العصر الحديث. والواقع أن جميع نظرياته تقوم

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص ص 584- 585.

على الملاحظة والتجربة، وكان يعتقد أن الطبيعة تستطيع أن تقدم لنا الإجابة عن جميع المسائل. ويعتبر أنه لا يوجد مستحيل، بل إن الإنسان يستطيع أن يحقق ما يريد[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- شوقي عطا الله الجمل- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل- القاهرة، 2000.

2- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 14، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

3- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 522.

الدرس الرابع عشر: حروب الثلاثين عاما ومراحلها

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: الظروف التي سبقت الحرب:

1- الإصلاح الكاثوليكي المضاد

1-1 مجمع ترنت (1542- 1563)م

1-2 ظهور اليسوعيين

ثانيا: بداية الحرب

1- ثورة البروتستانت

2- الغزو الأجنبي

3- التدخل السويدي

4- التدخل الفرنسي

ملخص:

يتطرق هذا الدرس إلى حروب الثلاثين عاماً ومراحلها، من خلال استعراض الظروف التي سبقت الحرب مثل الإصلاح الكاثوليكي المضاد ومجمع ترنت، ثم أحداث بداية الحرب وتأثير ثورة البروتستانت في ألمانيا وتطورها إلى صراعات بين الدول الكبرى مثل إسبانيا، فرنسا، مع تدخلات خارجية من السويد والدانمارك.

أهم المصادر والمراجع

تقديم:

كانت من تبعات حركة الإصلاح الديني التي بدأت في ألمانيا أن جرت على أوروبا إلى حروب دموية حامية. وكانت هذه الحركة أعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، وترتب عليها خروج أكثر من نصف أوروبا الغربية التي كانت تدين لها بالولاء الديني، والتي ظلت أكثر من ألف عام تحت نفوذ كنيسة روما، ولعل أهم الأحداث فيها كان نشوء حرب الثلاثين عاما.

أولا: الظروف التي سبقت الحرب:

1- الإصلاح الكاثوليكي المضاد

1-1 مجمع ترنت (1542- 1563)م

دعا البابا بولس الثالث (1534-1549)م الذي يعد أول رئيس لفكرة الإصلاح الكاثوليكي- نتيجة لما آلت إليه الكنيسة بسبب حركة الإصلاح- والمحرك لها في عام 1542م كبار رجال الدين المسيحيين لعقد مجمع عام في مدينة ترنت، الواقعة على الحدود الإيطالية الألمانية عند جبال الألب التي تقع ضمن حدود الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد امتدت اجتماعاته لمدة ثلاث أعوام بسبب الخلافات الحادة بين المتخاصمين، الإمبراطور شارل الخامس[1] والملك الفرنسي فرانسوا الأول على مسألة مكان انعقاد المجمع، فلم ينعقد (المجمع الماسوني التاسع عشر للكنيسة المسيحية) في دورته الفعلية إلا في الثالث عشر من ديسمبر 1545م، وقد استمرت أعمال المؤتمر متقطعة لمدة ثمانية عشر سنة (1545- 1563)م، وذلك بسبب الخلافات الموجودة بين أعضائه حول قرارات المجمع، والمشاكل السياسية والدينية الكبيرة الموجودة آنذاك في القارة، حتى بلغت جلستها 25 جلسة، وأنهى المؤتمرون أعمالهم في الرابع من ديسمبر عام 1563م، بعد أن حدد طرق الكنيسة الكاثوليكية لقرون عدة قادمة[(2)].

أما القرارات المتعلقة بالعقيدة الكاثوليكية فقد تم تحديد عدد كبير من الأمور العقائدية التي لم تحدد من قبل، وخاصة في مسائل القداس بإثباته الحضور الحقيقي للمسيح في سير القربان المقدس، ورفض المجمع كل أفكار لوثر وكالفن القائلة بأن الإيمان قبل الأعمال، وأكدا مبدأ الكنيسة أن خلاص المؤمن يأتي من عمله الصالح النابع من الإيمان، ولم يقر المجمع ما دعت إليه المذاهب البروتستانتية من حيث الاعتماد على الكتاب المقدس في تفسير العقائد وغيرها من مسائل الفقه الديني، وإنما يجب الاعتماد أيضا على عقائد الكنيسة التي تستند أساسا إلى الكتاب المقدس، ثم إلى التقاليد الكنسية القديمة واجتهاداتها، وعدم قبول حق الأفراد في تفسيرهم الكتاب المقدس، وأصر المجمع على التمسك بالنسخة المعتمدة من الكتاب المقدس، المترجمة من اللاتينية القديمة، والتي وضعت من قبل القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي. هذا إلى جانب التأكيد على العقائد الأخرى الكاثوليكية مثل الإيمان بالمظهر، وإجلال الصور وعبادة القديسين.

---

[1] ورث الملك الإسباني شارل عرش جده فرديناند الكاثوليكي، الذي استولى على دولة الأندلس وجعلته يتطلع إلى عرش الإمبراطورية الألمانية الذي خلا بموت حفيد الإمبراطور مكسيمليان النمساوي. وكان فرانسوا ملك فرنسا عميد عائلة فالو يتطلع هو أيضا لذلك العرش، فابتدأت رسميا العداوة والمنافسة بين فرنسا وبقية الدول الأوروبية. فاجتمع الأمراء الناخبون بمدينة فرانكفورت واتفقوا يوم 05 جويلية 1519م على انتخاب ملك إسبانيا، فأصبح إمبراطورا يحكم معظم إيطاليا وبلجيكا وهولندا والنمسا وبعض الشمال الفرنسي زيادة على الممتلكات الشاسعة في أمريكا. ينظر: أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ن، ص ص 272- 273.

[2] محمد مخزوم: **مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)**، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط1، 1983م، ص 56.

ومن أجل الحفاظ على العقيدة ووحدتها، فقد قرر مجلس ترنت تفويضا بإعداد أسماء الكتب والمطبوعات التي كتبها لوثر وكالفن وزوينكلي وغيرها من الكتب البروتستانتية أو غير البروتستانتية الذين تعدهم الكنيسة من الخارجين على الدين لتحريم قراءتها على الكاثوليك، وبالتالي منع تداولها وبيعها. كما اهتم المجمع باستئصال المساوئ الصارخة، وقرر استعمال اللغة اللاتينية في الصلاة، وحرم زواج القسيسين، وجعل للأساقفة الحق في مراقبة سلوكهم، وتوقيع العقوبات عليهم إذا ارتكبوا ما يخل بقوانين الكنيسة وبيع الوظائف الكنسية، ومنع أن يجتمع عدد من الأسقفيات في يد شخص واحد، وحدد سن الشاغل للمناصب الكنسية. وحتمت القرارات المجمع إنشاء مدارس تكون بمثابة معاهد تعليم وتدريب رجال الدين الثقافة الدينية وواجباتها، ثم تناول سلطات الباباوات، فقرر أن البابا راعي الكنيسة، وأنه هو خليفة السيد المسيح (عليه السلام)، وأنه المفسر الوحيد للكتاب المقدس، وله بسبب ذلك السلطات العليا في الكنيسة، وهكذا سجل مجمع ترنت نهضة كاثوليكية مؤسسة على سلطة البابا وصراحة النظام الكنسي[1].

1-2 ظهور اليسوعيين:

كانت الوسيلة الثانية التي اتبعها الكاثوليك لمقاومة البروتستانت إنشاء طوائف دينية تناضل من أجل سياج الكاثوليكية العتيد، ومن بين أهم الطوائف طائفة الجزويت (Jésuites) التي أنشئها أجناتيوس ليولا، وهو أحد الفرسان الإسبان التابعين للإمبراطور شارل الخامس الذي كان يحارب فرنسا، درس الكتاب المقدس وتعمق في دراسته وكرس حياته للكنيسة الكاثوليكية.

إشترك ليولا مع ستة من أصدقائه في تكوين جمعية دينية، كانت هي الخلية الأولى للطائفة[2]. ثم انتقلوا إلى إيطاليا، وقاموا بالوعظ والإرشاد في البندقية، وأسسوا رابطة تعهدوا فيها على خدمة الكنيسة الكاثوليكية، وأطلقوا على أنفسهم جمعية اليسوعيين، وبعد ثلاثة أعوام اعترف البابا بيوس الثالث بنظام الجمعية وانتخب ليولا رئيسا لها.

كانت أنظمة الجمعية صارمة شبه عسكرية فرئيس اليسوعيين ينتخب رئيسا مدى الحياة، ويتبع البابا مباشرة. وتختلف طرق اليسوعيين عن غيرها من الفرق الديرية في أنها طريقة عمل وكفاح في المجتمع الإصلاحي، وأعضائها كتاب وأساتذة وأطباء وعلماء ومبشرين. أما هدفها فهو نشر أكبر قدر من الثقافة العامة، وإعداد المسيحي، فلقد استقبلت مدارسها أبناء النبلاء والبروتستانت لتغيير معتقداتهم[3].

---

[1] الهاشمي، المرجع السابق، ص 87.

[2] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 532.

[3] الهاشمي، المرجع السابق، ص 89.

إذن، تميز اليسوعيون برغبتهم في إدخال تجديدات على الكاثوليكية، وهم بذلك إنما يتفقون في الهدف مع لوثر، وإن لم يتبعوا وسائله. وكما تبين للوثر، فإن اليسوعيين أدركوا أن الكنيسة قد انحرفت عن مبادئها، بل وعن مبادئ المسيح، وهي المبادئ التي تنادي بالتقشف والسلام. كانت البابوية في الواقع قد اكتنزت أموالا خيالية، وكان اليسوعيون أبعد من أن يفكروا في العودة إلى التقشف، طبقا لما تنادي به الديانة المسيحية. لكنهم قاموا بتأسيس هيئة للجهاد، تعتمد على رجال مثقفين، في استطاعتهم الإجابة عن جميع الإتهامات والتشكيكات.

وكون اليسوعيون جيشا حقيقيا من المتعصبين، وكانوا يجمعون بين صفات المعلمين والوعاظ، اتسموا بالنشاط والقدرة على الإقناع، كما كانوا يخضعون لنظام صارم. وكان النظام الذي وضعوه لأنفسهم يقضي بأن يطيعوا زعيمهم في كل شيء، وأن يبذلوا نشاطهم في نشر العقيدة. وقد تميز اليسوعيون بصفة خاصة في مجال التعليم، وفي هذا المجال التربوي[1]، مارسوا الدكتاتورية الفكرية عندما أنيطت بهم عام 1620م مهمة الإشراف على جامعتي فيينا وبراغ، واستقروا بعد ذلك في هنغاريا (المجر) وأسسوا عام 1632م أكاديمية تحولت إلى جامعة بودابست، وقد اتخذ الملوك والأمراء مرشدين لهم من اليسوعيين مثل الملك هنري الرابع وفرديناند الثاني، وعملوا على إرضاء ومسايرة روما وإسبانيا، وانتقل هؤلاء المبشرون إلى الهند والصين. وفي عام 1640م أسسوا في كندا مركزا لنشاطهم الخاص[2].

ثانيا: بداية الحرب

كما سبق أن رأينا، فعندما جاء الإصلاح وضع صلب العقيدة الكاثوليكية موضع المناقشة نفسها، وأجبر بذلك الأمم على التحرر من روما، لكي تتخذ لنفسها موقفا واضحا إزاء هذه المشكلة. وقد نجمت عن ذلك حركة قومية فرضها الحكام. ففي إسبانيا كان الموقف واضحا، فقد استؤصلت بسرعة شأفة البروتستانت والملحدين[3]. أما في الأقاليم المتحدة، كان الناس جميعا يتوقعون الحرب، ففي سنة 1621م تنتهي هدنة الإثني عشر عاما المعقودة بين إسبانيا وتلك الأقاليم. وكان يبدو واضحا أن إسبانيا ستقدم على محاولة جديدة لحمل أولئك الهولنديين المتمردين على الفرار والتراجع. ولكن الحرب ما لبثت أن نشبت بأسرع مما كان متوقعا، ليس

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 532.

[2] الهاشمي، المرجع السابق، ص 89.

[3] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 530.

في الأراضي الهولندية فحسب، وإنما في ألمانيا أيضا. ففي عام 1618م ثار البروتستانت في بوهيميا (Bohemia) "التشيك حاليا" التي كانت تابعة لألمانيا آنذاك ضد سلطة الإمبراطور فيرديناند الثاني[1].

وعليه، كانت ثورتهم هذه هي البداية لحرب الثلاثين عاما[2]، وكانت حربا رهيبة حتى أنه ما من مؤرخ يستطيع أن يصف بدقة الشقاء الذي نجم عنها. ثم تطور هذا النزاع إلى حروب أوسع وأشمل، وسرعان ما راحت الجيوش من الدانمارك والسويد، وفرنسا وإسبانيا، تطأ أرض ألمانيا، وتضيف المزيد إلى الكوارث والأهوال التي أنزلتها بها الجيوش الألمانية والمرتزقة الذين كانوا يسلبون المدن الألمانية، ويبيدون سكانها، ويدمرون اقتصادها حين يخلفونها وراءهم. فكان من أثر هذا الدمار، أن الشعب الألماني لم يستهدف للموت جوعا فحسب، وإنما أصبح من أكلة لحوم البشر (Cannibalism).

ولم تكن حرب الثلاثين عاما حربا واحدة فحسب، وإنما كانت سلسلة من الحروب، فكانت هناك العداوة بين فرنسا الكاثوليكية وبين آل هابسبورغ (Habsburgs) الكاثوليكيين ملوك إسبانيا والنمسا، ثم العداوة بين هولندا وإسبانيا، ثم النزاع على السيطرة على البلطيق (Baltic). كل هذه الخصومات أدت إلى نزاع مسلح فوق الأرض الألمانية. وفضلا عن هذا، كان هناك ذلك الخلاف الجذري بين الإصلاحيين (Reformers) وبين معارضي الإصلاح. ففي ألمانيا كان الإتحاد البروتستانتي للأمراء الألمان يعارض الحلف الكاثوليكي الذي يتزعمه ماكسيمليان (Maximilian) القوي ملك بافاريا (Bavaria). وتطورت هذه الخصومات جميعا إلى إحدى أشد حروب التاريخ هولا وضراوة.

1- ثورة البروتستانت:

في سنة 1618م وقع في براغ (Prague) حدث مثير، وذلك أن المتمردين البروتستانت قذفوا من النافذة باثنين من الموظفين الكاثوليك القائمين بخدمة الإمبراطور[3]. حيث كان الأخير قد بعث رسله إلى "براغ" عاصمة بوهيميا وكلفهم بإعادة النظام إلى صفوف التشيكيين، وفرض وصاية ألمانيا عليهم، ولكن الغضب استولى على التشيكيين لقدوم هؤلاء الرسل، وألقوا بهم من نافذة القصر. وكانت هذه الجريمة المتعمدة سببا في إشعال الفتيل[4]. وكان ذلك إيذانا بالثورة التي أخذت تندلع ضد الإمبراطور في جميع أنحاء بوهيميا. وقد عرض البوهيميون البروتستانت التاج على فريدريك (Frederick) حاكم مقاطعة بالاطين الألمانية (Palatinate)،

---

[1] محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: **موسوعة المعرفة**، مج 6، مطبعة داغر، لبنان، 1971، ص 940.

[2] أنظر ملحق الخرائط رقم (2): أوروبا الدينية والسياسية عشية حرب الثلاثين عاما.

[3] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص 940.

[4] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 534.

وصهر جيمس الأول (Jemas I) ملك إنجلترا، وقبل فريدريك العرش، وآثر ماكسيميليان أن يوجه إليه جيش الحلف الكاثوليكي المشكل ضد المتمردين، على أن يرى فريديريك يستولي على بوهيميا، واستطاع تيللي (Tilly)– قائد الحلف– أن يهزم فريديريك في معركة الجبل الأبيض في نوفمبر سنة 1620م، ففر هاربا إلى المنفى[1].

وعقب الإنهزام فرض إمبراطور ألمانيا على سكان بوهيميا إعتناق الكاثوليكية بالقوة، واستخدام اللغة الألمانية، وهنا شعر البروتستانت في جميع أنحاء البلاد بقسوة هذا العمل، وقرروا التدخل في النزاع[2]، أضف إلى ذلك فطن بعض الأمراء البروتستانت إلى ازدياد قوة الكاثوليك، وخاصة في بافاريا، فانضم كريستيان (Christian) أمير برانزفيك (Brunswick)، وجورج فريديريك (George Frederick) أمير بادن–ديرلاخ (Baden-Durlach) إلى مانسفيلد (Mansfeld) قائد المرتزقة الذي سبق أن ساعد فريديريك. وفي ربيع سنة 1625م وقعت المفاجأة المثيرة، إذ انضم كريستيان الرابع ملك الدانمارك إلى البروتستانت، وغزا ألمانيا، لا لكي يساعد البروتستانت فحسب، وإنما لكي يحافظ على المصالح الدانماركية في شواطئ البلطيق[3].

2– الغزو الأجنبي:

وما لبث أن تكشف أن جيش تيللي لم يكن ندا للأعداء الجدد للإمبراطور فرديناند. ومن خلال هذا المأزق، برز فالنشتاين (Wallesntein) أشد قواد الحرب غموضا، وعرض هذا النبيل الطموح فاحش الثراء أن يشكل بنفسه جيشا لخدمة الإمبراطور، وقبل العرض الذي تقدم به. وفي عام 1626م هزم فالنشتاين القائد مانسفيلد، كما هزم تيللي ملك الدانمارك بجزء من جيوش فالنشتاين، ولم تعد الآن في ألمانيا قوة تقف ندا لجيوش تيللي وفالنشتاين. بيد أن الأمراء البروتستانت والكاثوليك على السواء قد روعهم نشاط الأخير. وفي سنة 1628م شرع يحتل دوقيه الجديدة في ميكلينبورج (Meeklenburg)، كما احتل المدن المجاورة لها، فهل كان يعتزم إنشاء مملكة بلطيقية يا ترى...؟

وفي عام 1630م أقنع الأمراء الكاثوليك الإمبراطور، بعد إلحاح، بأن يطرد فالنشتاين، وذلك في نفس الوقت الذي ظهر فيه جوستاف أدولف (Gustavus Adolphus) ملك السويد تلبية لدعوة البروتستانت، بغية التدخل في الأمر.

3– التدخل السويدي:

---

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص 940.

[2] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 534.

[3] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص ص 940– 941.

في غمار المؤامرات والإنتهازية والمطامع التي تميزت بها حرب الثلاثين عاما، ومضت مسيرة جوستاف أدولف المبهرة للإبصار عبر المسرح الأوروبي بكل ما للشهاب من بريق وتألق. لقد نودي به بطل أوروبا البروتستانتية، وأحرزت قواته نصرا ساحقا ضد الإمبرياليين في بريتنفيلد (Breitenfield)، وفي ليخ (Lech) هزم تيللي الذي أصيب بجرح مميت، ولم يكن أمام فرديناند من بديل إلا أن أستدعي فالنشتاين[1]. فبدأ السويديون في التغلب على قوات الجنرال فالنشتاين، ثم واصلوا تقدمهم إلى ميونيخ، واتجهوا بعد ذلك إلى لوتزن (Lutzen)، وفي سنة 1632م وقف القائدان العظيمان وجها لوجه، ودارت معركة عنيفة، طرد فيها رجال فالنشتاين من الميدان، ولكن جوستاف العظيم قتل في المعركة، وبالرغم من كسبهم للمعركة إلا أن فقد قائدهم جعلهم ينسحبون بلا نظام عائدين لبلادهم[2].

وقرر فرديناند أن يبادر متعجلا إلى التحالف مع إسبانيا ضد البروتستانت، ولكن كان لفالنشتاين رأي مختلف، حيث رفض أن ينصاع إلى أوامره، وللمرة الثانية أعفي من منصبه. وعندئذ حاول أن يسعى إلى تشكيل جيش مختلط من قواته، ومن الساكسون، ومن السويديين، معتقدا أنهم سيفرضون السلام بقوة السلاح، ولكنه قتل في فيفري 1634م بمعرفة قواته وموافقة الإمبراطور[3].

4- التدخل الفرنسي:

أما في بلاد أخرى فقد كان الملوك يجدون صعوبة كبيرة في فرض الإحترام للعقيدة الكاثوليكية. كان ذلك هو ما وقع في فرنسا، فقد كان بها بعض الأمراء الأقوياء، الذين في مقدورهم السعي للإستيلاء على السلطة مثل الدوق "دي جيز"، فاعتنقوا البروتستانتية[4]. وإذا كان ما صنعه فالنشتاين بدد كل أمل في وحدة ألمانيا، حلت أسوأ فترة في هذه الحرب، فقد كان الوزير المفوض الكاردينال ريشليو (Rechelieu) هو الذي يحكم فرنسا في ذلك العهد، ولم تكن بلاده حتى ذلك الحين قد أسهمت بأي دور إيجابي في الحرب، وإن كانت قد مولت على نطاق واسع حملات جوستاف أدولف[5].

وبعد موت ملك السويد كاد الغيظ أن يأخذ بخناق "ريشيليو"، وهو يرى فرديناند الثاني يستعيد السيادة على الموقف. فقرر أن يتدخل بنفسه، ومن ثم تحالفت فرنسا الكاثوليكية مع البروتستانت، الأمر الذي يثبت

---

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص ص 940- 941.

[2] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 535.

[3] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص 941.

[4] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 535.

[5] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص 940.

أن الحرب أصبحت سياسية بحتة[1]. فبعد أن منيت السويد بهزيمة منكرة في معركة نوردلينجن (Nordingen) سنة 1634م، أعلن ريشيليو الحرب على إسبانيا، ودارت معارك كثيرة على الأرض الألمانية شاركت فيها جيوش إسبانيا، والنمسا، والحلف الكاثوليكي ضد حلف الأقاليم المتحدة، وفرنسا، والسويد. وإنه لمن الصعوبة بمكان أن نسرد هنا سلسلة المعارك المتشابكة، أو مفاوضات السلام التي اتسمت بها هذه السنوات الأخيرة من الحرب. على أنه في وقت من الأوقات، بدا وكأن إسبانيا والنمسا أوشكتا على الانتصار، وذلك حينما تقهقرت هولندا وغزيت أرض فرنسا. ولكن الفرنسيين استطاعوا في عام 1643م أن يشتتوا شمل القوات الإسبانية في روكروا (Rocroi)، وبدا واضحا أن آل هابسبورغ يدافعون عن قضية خاسرة[2].

وفي ذلك الوقت كان "فرديناند الثالث" قد اعتلى عرض ألمانيا خلفا لفرديناند الثاني، غير أن الملك الجديد، وقد شعر بالملل من هذه الحرب التي أخذت تضعف من قوى ألمانيا، قرر أن يوقع معاهدة السلام لصالح فرنسا والسويد وكذلك بوهيميا[3]، وقد اتفق في المعاهدة التي عرفت بمعاهدة ويستفاليا (Westphalia) (المبرمة سنة 1648م) على عدم توحيد ألمانيا، وعلى أن للأمراء الحق في اعتناق المذهب البروتستانتي (اللوثري أو الكالفيني (Lutheran or Calvinist) وأن يديروا حتى سياستهم الخارجية بدون تدخل الإمبراطور[4].

أهم المصادر والمراجع:

1- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ن.

2- إياد علي الهاشمي: تاريخ أوروبا الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2010م.

3- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 6، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

4- محمد مخزوم: مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط1، 1983م.

5- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

[1] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 535.

[2] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص 941.

[3] موسوعة الشباب، مج 5، المرجع السابق، ص 535.

[4] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 6، المرجع السابق، ص 941.

الدرس الخامس عشر: نيقولو ميكيافيلي وكتاب الأمير

عناصر الدرس:

مخطط الدرس

أولا: مولده ونشأته ونشاطه السياسي

ثانيا: كتابه الأمير

ملخص:

الدرس يناقش حياة نيقولو ميكيافيلي ودوره السياسي وتأليف كتابه الشهير "الأمير"، بدء بالحديث عن نبذة عن مولده ونشأته في فلورنسا، ثم نشاطه الدبلوماسي والحكومي في إيطاليا، والظروف السياسية التي أثرت على فكره، مع التركيز على الأوضاع في إيطاليا آنذاك.

أهم المصادر والمراجع

أولا: مولده ونشأته ونشاطه السياسي

ولد نيقولو ميكيافيلي[1] في مدينة فلورنسا عام 1469م من أب يعمل محاميا. ولسنا نعرف الشيء الكثير عن شبابه[2]. كان قد تلقى قسطا مناسبا من التعليم حتى يلتحق في سلك العمل الحكومي، ومن ثم عمل في الحكومة الفلورنسية، فتم إرساله في بعض الأحيان إلى بعض الإمارات الإيطالية أو خارج إيطاليا لتحقيق بعض الأهداف الدبلوماسية والتي نجح في كثير منها، كما أنه تولى منصب سكرتير عام للحكومة الفلورنسية[3]. وبالتالي فقد عاصر فترة من أعظم الفترات في تاريخ فلورنسا تحت حكم لورنزو دي مديتشي. ولا مراء في أن ما رآه نيكولا من مظاهر الترف والسلطان قد ترك أثرا كبيرا في نفسه.

ومهما يكن من شيء فإن أسرة مديتشي ما لبثت أن اقصيت عن فلورنسا عام 1494م وقامت مكانها حكومة جمهورية. وقد التحق ميكيافيلي الذي لم يبلغ حينئذ من العمر سوى خمسة وعشرين عاما بخدمة الجمهورية الجديدة، وبعد سنوات قلائل عين في أحد المناصب الهامة في حكومة المدينة. وقبيل تلك الفترة كان ميكيافيلي قد أصبح فعلا خبيرا بالسياسات المعقدة المتشابكة في إيطاليا، وفي عام 1499م قررت الحكومة

[1] أنظر ملحق الصور رقم (10): نيقولو ميكيافيلي (1469- 1527)م

[2] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، ص 112.

[3] سليمان نوار- حمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 24.

الجمهورية إيفاده سفيرا لها لدى كاتيرينا سفورزا حاكمة مدينة فورلي. ثم ذهب ميكيافيلي في بعثة إلى فرنسا في بلاط لويس الثاني عشر، ثم تزوج عام 1502م.

وما لبث أن التقى بسيزار بورجيا نجل البابا ألكسندر السادس، الذي قدر أن يصبح البطل الكبير لديه، والذي وصفت مناقبه بتفصيل في كتابه "الأمير" كنموذج للبراعة السياسية.

وفي سنوات العشر التالية، قام ميكيافيلي برحلات أخرى كثيرة كسفير لجمهورية فلورنسا، فقد ذهب مرتين إلى فرنسا أيضا، ومرة إلى ألمانيا لدى بلاط الإمبراطور مكسميليان، وإلى روما لمقابلة البابا الجديد يوليوس الثاني، وإلى كثير من المدن الأخرى في إيطاليا مثل: ميلانو، وبولونيا، وبيزا، وسيينا، وأريزو. وكان حيثما ذهب يوافي حكومته بتقارير مفصلة مليئة بالملاحظات السياسية التي تشف عن ذكاء متوقد. وبالإضافة إلى هذا، فقد وجد الوقت فيما بين بعثاته لتنظيم قوات ميليشيا وطنية. كان المقصود منها أن تحل محل الجنود الأجانب المأجورين غير الموثوق بهم أو الجنود المرتزقة، لكي تضطلع هذه القوات بالدفاع عن الجمهورية.

على أنه في عام 1512م انتهى تاريخ حياة ميكيافيلي كسياسي نهاية مفاجئة، ذلك أن الصداقة مع فرنسا كانت حجر الزاوية في سياسة الجمهورية الخارجية، وحينما طرد الفرنسيون من إيطاليا بتأثير "الحلف المقدس" الذي شكله البابا يوليوس الثاني، سقطت الجمهورية، وعادت أسرة مديتشي إلى حكم فلورنسا، ومن ثم طرد كل أولئك الذين عملوا في خدمة الجمهورية من مناصبهم. وما لبث ميكيافيلي الذي حامت الشبهات حول تآمره ضد أسرة مديتشي أن نفي من فلورنسا، فذهب للإقامة في بلدة صغيرة مجاورة[1].

على أن ميكيافيلي ما لبث أن أفاد من نفيه فائدة طيبة، فقد وضع في هذه الفترة أعظم مؤلفاته، وهي "الأمير" و"مقالات وأحاديث"، ومسرحيته الشهيرة المعروفة باسم "ماندراجولا"، ولكنه كان دائم القلق حنينا إلى القوة السياسية. وما أن حل عام 1525م حتى تم الصلح بينه وبين أسرة مديتشي، فأهدى أحدث مؤلفاته وهو "تاريخ فلورنسا" إلى أحد أفراد الأسرة، وكوفئ عن ذلك ببعض البعثات السياسية الصغيرة. ولكن في الوقت الذي بدا فيه أنه بسبيل استعادة سالف شأنه وتوطيد قدميه، استهدفت أسرة مديتشي للنفي مرة أخرى، وعادت الجمهورية سيرتها الأولى. فسارع ميكيافيلي الذي كان بعيدا عن فلورنسا حينذاك بالعودة إلى المدينة يحذوه الأمل في استعادة المناصب التي كان يشغلها في عهد الحكومة الجمهورية السابقة. ولكن سرعان ما أصابه المرض عقب عودته وتوفي في 22 من شهر جوان عام 1527م، ودفن في كنيسة سانتا جروشي في

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، ص 112.

مدينة فلورنسا، وقد كتبت على قبره هذه الكلمات: "لا نقش يضارع في التكريم هذا الإسم: نيكولو أو نيقولو ميكيافيلي"[1].

ثانيا: كتابه الأمير

ألف ميكيافيلي الكثير من القصص المسرحية والأشعار، وكتب كتابا سياسيا أسماه "تاريخ فلورنسا القضائي" مستفيدا من عمله الحكومي، كما ألف كتاب "الأمير" الذي كان سببا في شهرته. وإذا قمنا بإيضاح الصورة عن حقيقة كتاب الأمير هذا فإننا سوف نلاحظ أن ما هو إلا رسالة في نظم الحكم من وجهة نظره، فهدف ميكيافيلي هو تحقيق الوحدة السياسية لإيطاليا بدلا من تفككها. ولتحقيق هذا فإنه يرى أن الحاكم أو الأمير في حل من كل المبادئ الإنسانية والمبادئ الأخلاقية والإعتبارات الدينية، وفي حل من القوانين حتى أنه يبيح استخدام الظلم والعدوان في سبيل تحقيق هدفه، فإن الغاية عنده تبرر الوسيلة.

ومع ذلك، فإننا نرى تضاربا في أفكار ميكيافيلي؛ فهو يرى أن دعامة الحياة القومية هي الفضيلة في سبيل تحقيق الوحدة، على العكس تماما من أفكاره أن هذه الفضيلة إذا كانت ستقف عائقا في سبيل تحقيق هدف ما فلا بد من تناسبها، كما أنه كان يؤمن بنظام الطبقات في حين أنه يرى أن دعامة الدولة هو الشعب.

ومن أفكاره أيضا التي يؤمن بها استباحة استيلاء دولة على دولة أخرى شريطة أن يتركوا لأهالي الدولة التي تم الإعتداء عليها حرياتهم، التي اعتادوا عليها ولا يحاولوا تغييرها، وعلى الملك أو الأمير صاحب الدولة التي استولت على الأخرى أن يعين أتباعا في حكومة الدولة المعتدى عليها، وأن يستميل بعض أهالي الدولة بالرشوة حتى يضمن ولائهم له. وهذا الكتاب ما هو إلا نموذج للرجل الوطني الذي يغار على وطنه، ويرجو له التقدم بالرغم من دناءة وسائل هذا التقدم.

ومما لا شك فيه أن كتاب الأمير دراسة سياسية عميقة بغض النظر عن الوسائل التي عرضها ميكيافيلي، وظل هذا الكتاب يدرس على كل من يهتم بالسياسة، ولكن من منظور إنساني حي وضمير يقظ حتى لا يقع القارئ في الخطأ[2].

مقتطفات من كتاباته:

"إن جميع الأنبياء المزودين بالسلاح ينجحون، والأنبياء العزل يخفقون.

---

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، 112.

[2] سليمان نوار- محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص ص 24- 25.

إن التجربة في عصرنا قد أوضحت أن الأمراء الذين حققوا عظيم النجاح كانوا هم أولئك الذين لم يحفلوا بالعهد والوفاء وعرفوا كيف يسلسلون قياد عقول الرجال بالمكر والخداع، فاستطاعوا في النهاية أن يتفوقوا على أولئك الذين كانوا يعولون على الوفاء بالعهد.

إن سيزار بورجيا كان موصوفا بالقسوة. ولكنه استطاع بفضل هذه القسوة أن يوجد وأن يطيب خاطر شعبه وينظمه. وإذن فلا ينبغي للأمير أن يلقي بالا إلى من يعيبون غاية قسوته. ما دام قد أبقى رعاياه متحدين موالين له.

إن الأذى ينبغي إيقاعه بأصحابه في التو واللحظة. حتى يكون مذاقه أقصر والتضرر به أيسر. وأما المنافع فينبغي منحها شيئا فشيئا بقدر، حتى يكون لمذاقها أطيب الأثر".

كتب هذه الكلمات ميكيافيلي، الذي ظل اسمه على مدى سنوات طويلة علما على الشر والأذى. والوصف بهذه الكلمة لا يزال في الواقع مستخدما للكناية عن أفعال الناس الذين يعمدون إلى تحقيق مآربهم بالقوة والمكر.

بيد أنه لكي نفهم ماذا كان ميكيافيلي يعنيه حقا حينما كتب هذه الكلمات، لا بد لنا أن نعرف شيئا عن الأوقات التي كان يكتبها فيها. إن إيطاليا كانت وقتئذ مقسمة إلى دويلات صغيرة كثيرة، وكذلك كان أمرائها، الذين كان يصفهم، في كفاح دائم متصل للبقاء في الحكم والسلطان. لقد رأى ميكيافيلي الذي كان يدرس بعناية هذه المنازعات السياسية، أن الفضيلة والنوايا الطيبة ليست في حد ذاتها كافية للبقاء والحياة، ومن ثم كانت مشورته مجردة من العاطفة، وقاسية مؤلمة في صراحتها. ذلك أن إيطاليا التي لاحظ أطوارها كانت أقرب شبها بدُنيا الأعمال في وقتنا الحاضر، بما فيها من تهديد المنافسة الذي لا ينقطع. فالدويلات الصغيرة والضعيفة مثل الشركات الصغرى في الأنظمة الرأسمالية، خليقة أن تكون دائما معرضة لخطر ابتلاعها على يد كبار المنافسين[1].

وكثيرا ما أسيء فهم ميكيافيلي، والخطأ الأكثر شيوعا في حقه هو التسليم بأنه حينما وصف السياسات الفاسدة في عصره، كان يعرب عن موافقة صادقة على ما كان يراه. ولكنه لم يجد أي جدوى في امتداح المعايير السياسية السابق الأخذ بها، والتي ما كانت لتجدي شيئا في ظروف عصره سواء أقرها أو لم يقرها. إن كتابه الأشهر "الأمير" طالما استهدف للنقد لما تضمنه من معتقدات شريرة، وأحيانا كان الكتاب محل الثناء

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، ص 112.

لما أزجى من حقائق متعارفة عالميا عن شؤون السياسة. وكلا الرأيين ليس على صواب، لأن ميكيافيلي إنما كتب لعصره، ولوطنه[1].

أهم المصادر والمراجع:

1- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، الاسكندرية، 1999.

2- محمد فؤاد ابراهيم وآخرون: موسوعة المعرفة، مج 1، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

[1] ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، مج 1، المرجع السابق، ص 112.

الخاتمة:

مما سبق ذكره، فقد توصلنا إلى عدة نتائج نوجزها على شكل نقاط على حسب كل درس، وهي:

1/ شهد القرن الرابع عشر اضطرابات اقتصادية، دينية، عسكرية وسياسية، حيث أدت الكوارث الاقتصادية والدينية إلى تدهور بنية المجتمع، مع ظهور سمات جديدة في النظام الاقتصادي، ونشاطات دينية متنوعة، وتطور القوى العسكرية، ونمو القوميات.

ولقد تأثرت أوروبا بشكل عميق نتيجة لهذه التغيرات، مع تراجع دور البابوية، وتغير أساليب الحرب، ونمو الممالك القومية، وتفكك القوى السياسية.

2/ كان عصر النهضة بداية تحول فكري وثقافي في أوروبا، وذلك من أواخر الرابع عشر إلى السادس عشر، حيث انتقلت أوروبا من عصور وسطى إلى عالم حديث مليء بالأفكار الجديدة عن الفن والأدب والسياسة، ولقد ابتدأت النهضة في إيطاليا ثم انتشرت شمالاً، وارتبطت بالحضارة الكلاسيكية اليونانية والرومانية خاصة، مع بروز الاهتمام بالإنسانية والإنجازات البشرية، عبر إحياء وتقدير للثقافة القديمة، وتأكيد على قدرات الإنسان ومكانته في العالم الدنيوي.

ولقد تركزت الأفكار على إنجازات البشر بدلًا من الاعتماد على الدين فقط، مع توسيع الاهتمام بالفنون، والعلوم، والأدب، والعمارة، والنحت، والسياسة، مما أدى إلى تقدم سريع في مختلف المجالات. ساهمت الأفكار الجديدة في تعزيز الوعي بقدرة الإنسان على توجيه مصيره، مما أدى إلى ظهور شخصيات مثل هنري الثامن وفرانسيس الأول ولورنزو الأفخم، الذين وسعوا من دائرة السلطة، مما أدى إلى نهضة علمانية وتحرر من سلطة الكنيسة والسلطة المقدسة.

3/ تبدأ العصور الوسطى بعد العصور القديمة وتستمر حتى عام 1453م، حيث كانت الكنيسة تتمتع بقوة دينية واقتصادية تفوق الدولة، تسيطر على المجتمع وتفرض الضرائب وتخضع الملوك لمباركتها. عاش الناس تحت سيطرة الكنيسة والنبلاء، مع خوف دائم من الشيطان وتأثير الضرائب، مما ساهم في ثراء الكنيسة. كانت الحياة تُعتبر تحملاً للوصول إلى الجنة، وتأثرت المجتمعات بحرب المائة عام التي غيرت من السلطة والثقافة. رغم بعض النهضة العلمية والفكرية، كان التقدم محصوراً في الطبقات العليا، وكان الفن والأدب يعتمدان على دعم الملوك والنبلاء الذين نظموا حياة المجتمع.

5/ علماء النهضة استمدوا نظرياتهم من علماء اليونان القدماء، مع تطويرها بالاعتماد على التجربة والبرهان العلمي. أما التراث الروماني، فقد أُعيد إحياؤه في إيطاليا بعد العصور الوسطى عبر حركة "الهيومانزم" التي ركزت على احترام الإنسان وحياته وجمالها، وجمعت بين العلم والفلسفة والبهجة في الحياة.

6/ لعب العلماء المسلمون دورًا حيويًا في حفظ ونقل التراث الحضاري اليوناني وترجمته إلى العربية، مما حفظ هذا التراث من الضياع وساهم في إثراء النهضة الأوروبية بمصادر علمية قيمة. بالإضافة إلى ذلك، أبدع العلماء المسلمون في تطوير فرضيات علمية وتقنيات حديثة كالنظام العشري ونظام الترميز، مما أسس قواعد علمية جديدة. استمر الغرب في ترجمة الأعمال العلمية العربية حتى بعد ضعف الحضارة الإسلامية العلمية، مما مكّن الأوروبيين من الاطلاع على إنجازات وابتكارات إضافية تتجاوز التراث اليوناني الأصلي. هذه العملية ساعدت في تشكيل العقلية العلمية الحديثة عند الأوروبيين وتعزيز المنهجيات التجريبية والاستقرائية في البحث العلمي.

7/ شهدت العصور الوسطى سيطرة الكنيسة على الثقافة والتعليم، حيث كانت المكتبات والجامعات تابعة للدير وتخضع للمبادئ الدينية، مما أدى إلى قيود على التفكير العلمي. مع بداية النهضة الأوروبية وترجمة كتب العلماء المسلمين، بدأت الجامعات تتبنى المنهج العلمي التجريبي، وبدأ نشر الأبحاث علنًا منذ القرن السادس عشر، مما ساهم في تطور العلوم وتوسعها. في القرن الثامن عشر، ارتكزت العلوم على ملاحظات دقيقة وتجارب منظمة، ما أدى لإصدار قوانين علمية موثوقة رغم تهديدها لبعض المبادئ الدينية. لاحقًا توسعت الدراسات لتشمل مجالات النفس والبيئة، مساهمة في فهم أعمق وتطور التكنولوجيا.

8/ تمثلت أبرز آثار الحضارة الإسلامية في النهضة الأوروبية في حركة الكشوف الجغرافية التي فتحت الطريق من العصور الوسطى إلى الحديثة. ساهم العلماء المسلمون مثل الخوارزمي والبيروني وابن جبير وابن بطوطة في تطوير علم الجغرافيا والرحلات الاستكشافية، مستفيدين من الخبرات والمعارف المتراكمة وطُرق التجارة.

9/ شكلت حركة الكشوف الجغرافية دفعة قوية للاستعمار الأوروبي وأدت إلى تغييرات جذرية في موازين القوى الدولية، وأثرت على الأصعدة السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الاجتماعية، العلمية، والدينية. بدأت حركة الكشوف الأوروبية على مرحلتين: الأولى (1492-1516) مع اكتشافات برتغالية وإسبانية محلية وإقليمية، والثانية (1516-1600)مع توسعات عالمية لدول أوروبية أخرى كإنجلترا وهولندا وفرنسا.

أدت هذه الكشوفات إلى تغيرات جذرية في موازين القوى الدولية وبروز الاستعمار الأوروبي، حيث استغل الأوروبيون الثروات الطبيعية والبشرية في الأراضي المستعمرة وتحكموا بالأسواق العالمية، مع تفتيت المناطق

الإسلامية والآسيوية. تمحورت دوافع الكشوف الجغرافية حول الاقتصادية (الحاجة لأسواق جديدة وتجارة التوابل والمعادن، وطرق بحرية بديلة)، والسياسية (السيطرة على الموانئ والمناطق الاستراتيجية وتنافس الدول على الإمبراطوريات)، والاجتماعية والدينية (نشر المسيحية والسعي للشهرة).

برز من رواد الكشوفات في أفريقيا هنري الملاح وبارثولوميو دياز، وفي آسيا فاسكو دي غاما وفرديناند ماجلان، وفي أمريكا كريستوفر كولمبوس وأمريكو فيسبوتشي. أثرت الكشوفات على الاستعمار بعدة جوانب:

- سياسيا: نشوء إمبراطوريات استعمارية وتنافس القوى الأوروبية على السيطرة الإقليمية.
- عسكريا: توسيع النفوذ عبر الحروب وفرض سيطرة على المستعمرات.
- اقتصاديا: استغلال الموارد والثروات وفتح طرق تجارية جديدة.
- اجتماعيا: تغير البنى الاجتماعية وظهور طبقات تجارية، وتهجير آلاف الأفارقة إلى الأمريكيتين.
- علميا: تطور المعرفة الجغرافية وأدوات البحث.
- دينيا: محاولات فرض المسيحية وتنصير الشعوب المحتلة.

فهم حركة الكشوفات الجغرافية ضروري لفهم نشوء النموذج الاستعماري الحديث وتأثيراته على السياسة والاقتصاد والمجتمعات العالمية.

10/ شهدت أوروبا في العصور الوسطى تدهوراً دينياً وسيطرة مطلقة للكنيسة على المجتمع، وانتهت هذه الحقبة مع بداية حركة النهضة التي مهّدت لظهور حركة الإصلاح الديني (1517- 1618)م. من أبرز عوامل الإصلاح تراجع مكانة البابوية بسبب الانقسامات الداخلية والتدهور الأخلاقي بين رجال الدين، مما ضعف هيبة الكنيسة وأدى إلى بروز روح نقدية وتحركات فكرية ضد فساد رجال الدين. كما ساهمت الرغبة السياسية لحكام ألمانيا في التحرر من نفوذ روما، إضافة إلى تأثير النهضة الأوروبية التي عززت التقدم العلمي والتنوير، وظهور الحكومات الملكية القومية المعارضة للسلطة البابوية. السبب المباشر لاندلاع الإصلاح كان بيع صكوك الغفران التي استخدمتها الكنيسة لكسب الأموال، فقام مارتن لوثر بقيادة الحركة ضد هذا الفساد، مما أدى إلى انقسام ديني وسياسي في أوروبا.

11/ يُعد الإصلاح الديني مرحلة هامة في تاريخ أوروبا الحديث ساهمت في تحرر العقول من التعصب والتزمت الديني، ووضعت حدًا لمظاهر العصور الوسطى، مما أدى إلى تقدم علمي وثقافي. نشأت أسباب الإصلاح

من الصراعات الاجتماعية بين طبقات المجتمع الألماني واستغلال رجال الدين لذلك لتعزيز سلطتهم، إضافة إلى الصراع بين الإمبراطورية والبابوية الذي ولد كراهية تجاه الكنيسة. بدأ الإصلاح مع مارتن لوثر وانتقد بيع الغفران، ثم امتدت الحركة إلى سويسرا بقيادة أولريخ زوينكلي وجون كالفن الذين أسسا حركات إصلاحية بروتستانتية. في إنجلترا، اتخذ الإصلاح طابعًا سياسيًا على يد هنري الثامن الذي انفصل عن الكنيسة الرومانية وأسس الكنيسة الإنجليزية، مما أدى لصراعات دينية طويلة .نتج عن الإصلاح انقسام أوروبا إلى مذاهب بروتستانتية متنوعة وكاثوليكية، مع اندلاع حروب دينية مثل حرب الثلاثين سنة، ومع ذلك كان للإصلاح أثر كبير ومتميز على جميع مجالات الحياة الأوروبية.

12/ شهدت الفنون خلال عصر النهضة الإيطالي تطورا كبيرا من خلال الانتقال من الطابع الديني إلى الإبداع الشخصي وحرية اختيار المواضيع، مع بروز الفنانين كعباقرة في الرسم والنحت والعمارة، مع تركيز على الحياة الطبيعية والتعبير الإنساني. استخدم الفنانون تقنيات متقدمة لإظهار الشخصيات بشكل واقعي، وحرر النحت تصوير الجسد الإنساني، واستلهمت العمارة التصاميم الكلاسيكية القديمة. في الأدب، اعتمدت اللغات الوطنية وأظهرت تنوعًا وتجربة إنسانية أعمق، كما تطور المسرح لإيصال القيم الإنسانية، خاصة في المسرح الإنجليزي. ومع ذلك، لم يتمكن مفكرو النهضة من معالجة القضايا السياسية والاجتماعية، حيث ركزوا على الجمال والقوة الإنسانية في فنونهم.

13/ شهد عصر النهضة تحولا هاما في منهج البحث العلمي، حيث انتقل العلماء من الاعتماد على التقاليد إلى استخدام الملاحظة والتجربة والبرهان العقلي لفهم الطبيعة. ساهم العلماء المسلمون مثل الحسن بن الهيثم في وضع قواعد البحث التجريبي. شهد العلم تقدماً في الفلك، والتعليم، والفكر السياسي عبر أفكار ميكيافيلي، كما دمج ليوناردو دافنشي بين الفن والعلم. أُعيد النظر في مفاهيم قديمة، مما فتح آفاقا جديدة للعلوم والاكتشافات الحديثة.

الملاحق

ملحق الوثائق

الملحق رقم (1): نموذج من صكوك الغفران



- Eng: In warrant of all saints and in mercy, I absolve you from all sins and misdeeds and pardon you from all punishments for ten days.
- باسم رحمة جميع القديسين أنا أعفيك من كل خطاياك وآثامك، وأرفع عنك الذنوب وجميع العقوبات لمدة عشرة أيام.

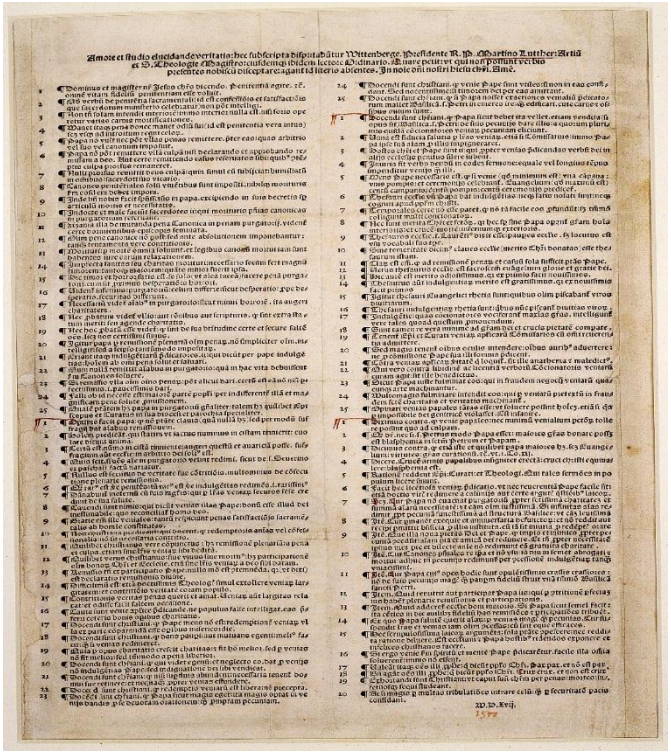
http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Indulgence.png

* * *

المصدر:

https://web.facebook.com/photo?fbid=1703285745140064&set=pcb.1703288111806494

الملحق رقم (2): وثيقة "التعليقات الـ 95" التي علقها لوثر على باب كنيسة فيتنبرغ بألمانيا



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:Luther_95_Thesen.png

ملحق الصور

الملحق رقم (1): لورنزو دي مديتشي (1449- 1492)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%86%D8%B2%D9%88_%D8%AF%D9%8A_%D9%85%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%B4%D9%8A

الملحق رقم (2): هنري الثامن ملك إنجلترا (1509- 1547)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D9%86%D8%B1%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%85%D9%86_%D9%85%D9%84%D9%83_%D8%A5%D9%86%D8%AC%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7

الملحق رقم (3): إرازموس (1469- 1536)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%85%D9%88%D8%B3

الملحق رقم (4): كريستوفر كولومبس (1451- 1506)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D9%88%D9%81%D8%B1_%D9%83%D9%88%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A8%D9%88%D8%B3

الملحق رقم (5): مارتن لوثر (1483- 1546)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%86_%D9%84%D9%88%D8%AB%D8%B1#/media/%D9%85%D9%84%D9%81:Lucas_Cranach_d.%C3%84._-_Martin_Luther,_1528_(Veste_Coburg).jpg

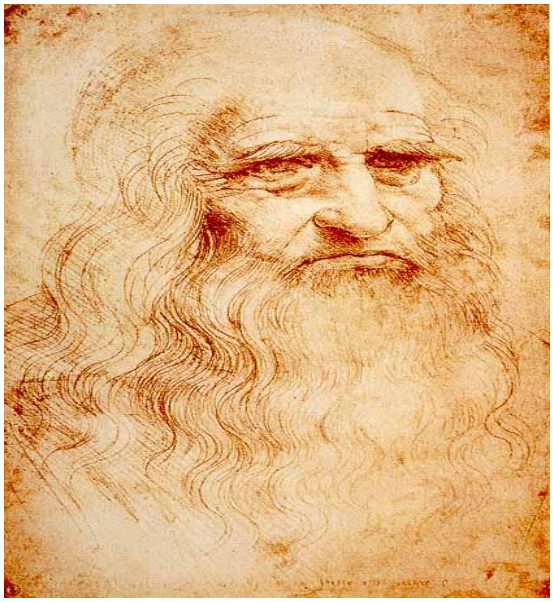
الملحق رقم (6): جان كالفن (1509- 1564)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A7%D9%86_%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86

الملحق رقم (7): ليوناردو دافنشي (1452- 1519)م



المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86%D8%A7%D8%B1%D8%AF%D9%88_%D8%AF%D8%A7_%D9%81%D9%8A%D9%86%D8%B4%D9%8A

الملحق رقم (8): لوحة الموناليزا



المصدر:

Musée du Louvre, "La Joconde (Mona Lisa)", visite le 01/ 02/ 2020, par l'auteur.

الملحق رقم (9): وليم شكسبير (1564- 1616)م



المصدر:

https://fr.wikipedia.org/wiki/Fichier:Cobbe_portrait_of_Shakespeare.jpg.

الملحق رقم (10): نيقولو ميكيافيلي (1469- 1527)م

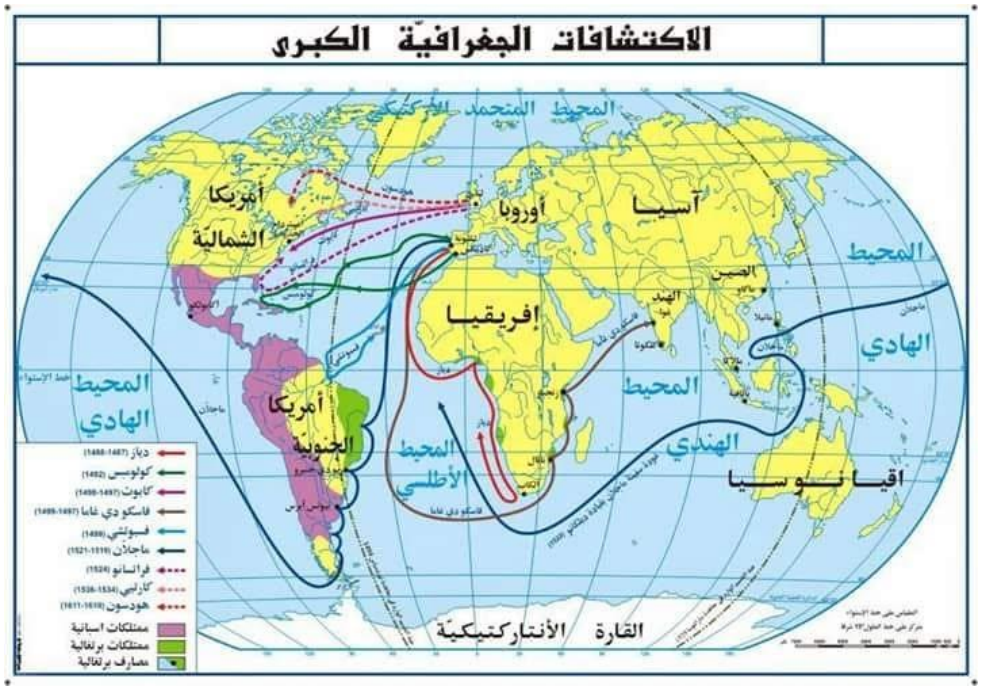


المصدر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%84%D9%88_%D9%85%D9%83%D9%8A%D8%A7%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%8A

ملحق الخرائط

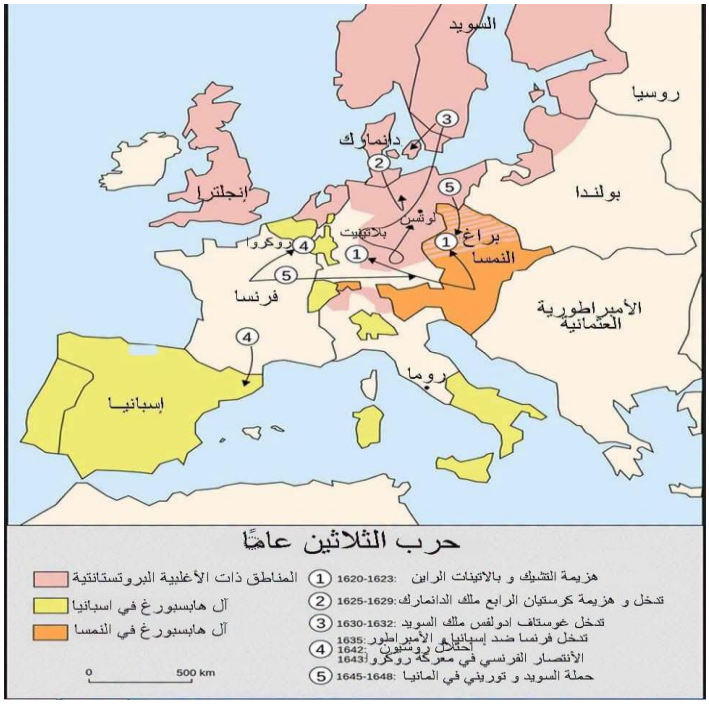
الملحق رقم (1): طرق الكشوف الجغرافية الكبرى البرتغالية والإسبانية



المصدر:

https://web.facebook.com/photo/?fbid=645995269281088&set=a.444534114330651

الملحق رقم (2): أوروبا الدينية والسياسية عشية حرب الثلاثين عاما



المصدر:

https://web.facebook.com/photo/?fbid=1645231540579779&set=pcb.1645235370579396

قائمة المراجع المعتمدة:

1/ المصادر:

Musée du Louvre, "La Joconde (Mona Lisa)", visite le 01/ 02/ 2020, par l'auteur.

2/ المراجع:

1- إبراهيم عيسى علي، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجغرافية، الإسكندرية، 2000.

2- الجمل شوقي عطا الله- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، المنيل- القاهرة، 2000.

3- حسن زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

4- حوتية محمد الصالح، تكوين الدول والأمريكيتين (898هـ- 1233هـ) (1492م- 1914م)، جامعة أدرار.

5- دونلي فيج جون، تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، دار المعارف، مصر، 1982.

6- رمضان عبد العظيم، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

7- زيادة نقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1987.

8- الزيدي مفدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2004م.

9- السرجاني راغب، العلم وبناء الأمم (دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة)، مؤسسة اقرأ، القاهرة- مصر، ط 1، 1427هـ/ 2007م.

10- سيد أشرف صالح محمد، تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان، ط 1، 2008.

11- الشناوي عبد العزيز محمد، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ج 1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط 3، 1977.

12- طريح شرف عبد العزيز، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1993.

13- عبد الحكيم محمد صبحي، دراسات في الجغرافيا العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.

14- العربي إسماعيل، تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

15- العريري محمد موسى، جغرافية القارة الإفريقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.
16- أبو علية عبد الفتاح- ياغي إسماعيل أحمد، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1413هـ/ 1993م.
17- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، 1992.
18- عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجغرافية، الاسكندرية، 2000.
19- فيتشر هربرت، أصول التاريخ أوروبي الحديث، تر: احمد عبد الرحيم وآخرون، دار المعرف، مصر، ط 3، 2001.
20- كرد علي محمد، الإسلام والحضارة العربية، ج 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ط 3، 1968.
21- مخزوم محمد، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط 1، 1983م.
22- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ن.
23- المقرحي ميلاد، تاريخ أوروبا الحديث، دار الكتاب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط 1، 1996.
24- نبهان يحي محمد: معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2008.
25- نوار عبد العزيز سليمان وجمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، الاسكندرية، 1999.
26- النيرب محمد محمود، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ج 1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة- مصر، ط 1، 1997.
27- هارت مايك، الخالدون المائة، المكتبة المصرية الحديثة، القاهرة.
28- الهاشمي إياد علي، تاريخ أوروبا الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2010.

2/ الموسوعات:

2-1/ باللغة العربية:

1- ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، موسوعة المعرفة، مج 1، مطبعة داغر، لبنان، 1971.

2- ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، موسوعة المعرفة، مج 6، مطبعة داغر، لبنان، 1971.
3- ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، موسوعة المعرفة، مج 11، مطبعة داغر، لبنان، 1971.
4- ابراهيم محمد فؤاد وآخرون، موسوعة المعرفة، مج 14، مطبعة داغر، لبنان، 1971.
5- موسوعة الشباب، مج 4، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.
6- موسوعة الشباب، مج 5، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1972.

2-2/ باللغة الأجنبية:

Alexander Rosie, Miles Kate, Royston Angela, Encyclopédie Questions-Réponses, Réalisation: Miles Kelly Publishing Ltd, Edition NATHAN, Paris, Décembre 2008.

3/ المواقع الإلكترونية:

https://ar.wikipedia.org
https://web.facebook.com

فهرس المحتويات:

الرقم	عنوان الدرس	محاوره	الصفحات
01	مقدمة المطبوعة		4-3
02	الدرس التمهيدي		6-5
03	**الدرس الأول:** الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة	أولا: إقتصاديا ثانيا: دينيا ثالثا: عسكريا رابعا: سياسيا ملخص أهم المصادر والمراجع	10-7
04	**الدرس الثاني:** تعريف النهضة الأوروبية وعوامل قيامها	أولا: تعريف عصر النهضة ثانيا: عوامل قيامها 1- مظاهر عصر النهضة ملخص أهم المصادر والمراجع	15-11
05	**الدرس الثالث:** أوروبا في العصور الوسطى	تقديم أولا: بداية العصور الوسطى في أوروبا ثانيا: سلطة الكنيسة في العصور الوسطى 1- وصف الكنيسة للجنة والنار ثالثا: مجتمع العصور الوسطى رابعا: حرب المائة عام خامسا: الفن والحياة في العصور الوسطى ملخص أهم المصادر والمراجع	21-16

06	**الدرس الرابع**: مفهوم النهضة الأوروبية– مظاهر الانبعاث الممهدة للنهضة الأوروبية في العصر الوسيط	أولا: بدايات النهضة في إيطاليا ثانيا: مظاهر انبعاث النهضة الأوروبية 1– في شبه جزيرة إيطاليا 2– خارج إيطاليا ملخص أهم المصادر والمراجع	26-22
07	**الدرس الخامس**: روافد النهضة الأوروبية– التراث اليوناني والتراث الروماني	أولا: التراث اليوناني ثانيا: التراث الروماني 1– الإنجيل ينفض عنه الغبار 2– لحن الجمال لحركة "الهيومانيزم" ملخص أهم المصادر والمراجع	30-27
08	**الدرس السادس**: روافد النهضة الاوروبية: رافد الحضارة الإسلامية	تقديم أولا: حفظ ونقل المسلمين لتراث الحضارات السابقة ثانيا: فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية ملخص أهم المصادر والمراجع	34-31
09	**الدرس السابع**: الجامعات في أوروبا في عصر النهضة	أولا: في العصور الوسطى ثانيا: في عصر النهضة ملخص أهم المصادر والمراجع	38-35
10	**الدرس الثامن**: آثار الحضارة الاسلامية في النهضة الأوروبية	تقديم أولا: لمحة تاريخية	43-39

		ثانيا: تأثير الرحلات العربية على الكشوف الجغرافية الأوروبية ملخص أهم المصادر والمراجع	
11	**الدرس التاسع:** حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوروبي الحديث	تقديم أولا: دوافع ومراحل ورواد حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية 1- دوافع حركة الكشوف الجغرافية 1-1 الدوافع الإقتصادية 1-2 الدوافع السياسية 1-3 الدوافع الإجتماعية والدينية ثانيا: حركة الكشوف الجغرافية ومراحلها ثالثا: رواد الكشوف الجغرافية ورحلاتهم 1- في القارتين الإفريقية والآسيوية 2- في العالم الجديد أو القارة الأمريكية رابعا: تأثير حركة الكشوف الجغرافية على الحركة الاستعمارية ملخص أهم المصادر والمراجع	59-44
12	**الدرس العاشـــر:** حركة الاصـــلاح الديني: الجذور التاريخية	أولا: أهم عوامل قيام الإصلاح الديني 1- التدهور الذي أصاب البابوية ورجال الدين في روما 2- انتشار روح النقد والتحرر الفكري 3- رغبة حكام ألمانيا في التخلص من سيطرة كنيسة روما	64-60

		4- مساهمة النهضة الأوروبية 5- صكوك الغفران ملخص أهم المصادر والمراجع	
13	**الدرس الحادي عشر:** حركة الاصلاح الديني: الحركة اللوثرية	تقديم أولا: أسباب قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا 1- الأسباب غير المباشرة: 1-3 الصراع بين طبقات المجتمع الألماني 1-4 الصراع بين الإمبراطورية والبابوية 2- السبب المباشر مارتن لوثر وبداية الأزمة ثانيا: امتداد الحركة الإصلاحية خارج ألمانيا 1- في سويسرا 2- في إنجلترا ملخص أهم المصادر والمراجع	71-65
14	**الدرس الثاني عشر:** الآداب والفنون في عصر النهضة الأوروبية	تقديم: أولا: أهم فنون عصر النهضة 1- فن الرسم والتصوير 2- في النحت 3- فن العمارة 4- في الأدب 5- المسرح ثانيا: فنان عصر النهضة وواقعه	76-72

		ملخص أهم المصادر والمراجع	
15	**الدرس الثالث عشر**: المنهج العلمي والاكتشافات العلمية في عصر النهضة الأوروبية	تقديم: أولا: العلم والاستكشاف ثانيا: التعليم ثالثا: الطريقة العلمية رابعا: علم الفلك خامسا: الفكر السياسي سادسا: الجمال والمعرفة ملخص أهم المصادر والمراجع	81-77
16	**الدرس الرابع عشر**: حروب الثلاثين عاما ومراحلها	أولا: الظروف التي سبقت الحرب: 1- الإصلاح الكاثوليكي المضاد 1-1 مجمع ترنت (1542- 1563)م 1-2 ظهور اليسوعيين ثانيا: بداية الحرب 1- ثورة البروتستانت 2- الغزو الأجنبي 3- التدخل السويدي 4- التدخل الفرنسي ملخص أهم المصادر والمراجع	89-82
17	**الدرس الخامس عشر**: نيقولو ميكيافيلي وكتاب الأمير	أولا: مولده ونشأته ونشاطه السياسي ثانيا: كتابه الأمير ملخص	94-90

		أهم المصادر والمراجع	
18	**الخاتمة**		98-95
19	**الملاحق**		99
20	**ملحق الوثائق**		101-100
21	**ملحق الصور**		107-102
22	**ملحق الخرائط**		109-108
23	**قائمة المصادر والمراجع المعتمدة**		112-110
24	**فهرس المحتويات**		118-113